روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

خيط اللهب

٣٢

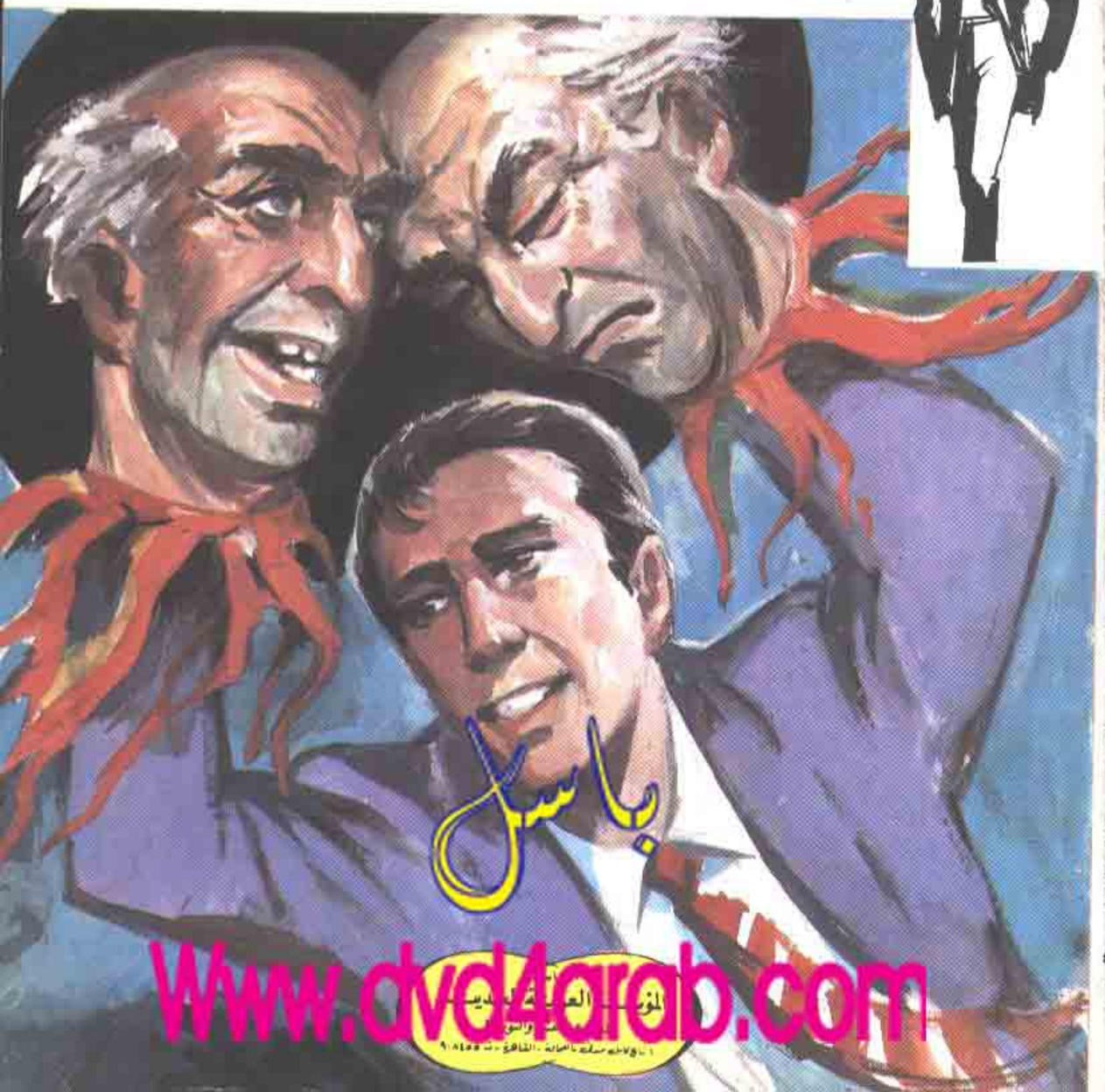

باسل
Www.dvd4arab.com

● رجل المستحيل ● خيط اللهب ● (٣٢) ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٣٢

● خيط اللهب ●

- لماذا أرسلت المخابرات المصرية (أدهم صبرى) إلى قلب إسرائيل فى السبعينات ؟
- كيف يحصل (أدهم صبرى) على الوثيقة ، التى يحفظها وزير الدفاع الإسرائيلى فى خزانته الخاصة ؟
- تُرَى .. أينجح (أدهم) فى الحصول على خريطة النابالم ، أم يفشل فى قطع (خيط اللهب) ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة .. لتَرَى كيف يعمل .. (رجل المستحيل) .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ المهمة الثانية ..

رفع مدير المخابرات رأسه يتأمَّل (قدرى) البدين ، الذى وقف قبالته مرتبكًا متردِّدًا ، حتى أن مدير المخابرات قال يستحثّه على الكلام :

ــ حسنًا .. ماذا تريد يا (قدرى) ؟

حاول (قدرى) أن يبتسم وهو يقول فى ارتباك :

ــ كنت قد وعدتنى بـ .. أقصد .. قصة (أدهم) .

ابتسم مدير المخابرات ، وهو يعود بمقعده إلى الوراء قائلًا :

ــ آه .. لقد ذكَّرتنى يا (قدرى) ، لقد انتهيت بالفعل من قراءة ملف المهمة الثانية لـ (رجل المستحيل) ، والتى أطلقت عليها الإدارة اسم (خيط اللهب) .. لقد كان ذلك فى نهايات شهر سبتمبر من عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين ، وكان (أدهم) قد رقِّى إلى رتبة الملازم أول فى صفوف الصاعقة .

ثم رفع حاجبيه مستطردًا :

ــ لقد كانت مهمة رائعة ، وهى السبب الرئيسى فى إطلاق لقب (رجل المستحيل) على (أدهم صبرى) .

غمغم (قدرى) فى مزيج من الفضول ، والاهتمام ، والارتباك :

ــ هل يمكننى الاطلاع عليها يا سيِّدى ؟

ابتسم مدير المخابرات وهو يومئ برأسه إيجابًا ، ويشير إلى ملف أنيق إلى جواره ، فأسرع (قدرى) يختطف الملف ، وهو يسمع مديره يقول :

ــ ولكنك ستطالعه وحدك يا (قدرى) هذه المرَّة ، فأنا مشغول للغاية .

تمتم (قدرى) فى شكر :

ــ لا بأس يا سيِّدى .. شكرًا لك .

وتوجَّه فى خطوات سريعة نحو باب الغرفة ، ثم لم يلبث أن توقَّف ، واستدار إلى مدير المخابرات ، متسائلًا فى لهجة أقرب إلى الحزن :

ــ كيف حاله الآن يا سيِّدى ؟

أجابه مدير المخابرات مبتسمًا :

ــ أفضل يا (قدرى) .. ، لقد اجتاز مرحلة الخطر ، ولكنه لا يزال فاقد الوعى فى الرباط(*) ، ولقد تحدَّثت تليفونيًّا إلى شقيقه الدكتور (أحمد صبرى) وأكَّد لى أنه متفائل للغاية .

تهلَّلت أسارير (قدرى) ، وهو يهتف فى سعادة :

ــ شكرًا لك يا سيِّدى .. لقد طمأنتنى كثيرًا .

ثم غادر الغرفة ، وأسرع فى ممرَّات مبنى المخابرات ، وقد انتابه مرح مفاجئ ، يلقى التحية على من يقابله ، حتى وصل إلى غرفته ، فأغلق بابها خلفه ، وفتح درج مكتبه ، وتناول منه لفافة كبيرة ، لم يكد يفضها حتى فاحت منها رائحة شهيَّة ، وقبض هو منها على شطيرة أخذ يلتهمها فى شراهة ، وهو يفتح ملف عملية (خيط اللهب) مغمغمًا :

(*) راجع قصة (الرمال المحرقة) .. المغامرة رقم (٣٠) .

ـ كم أتمنّى أن أعاود قراءة هذه الملفات مع (أدهم) .. لا شك أن ذلك سيسعده للغاية .

وفى اهتمام ولهفة ، أزاح الورقة التى تحمل اسم العملية ، ثم التقى حاجباه وهو يبدأ قراءة الملف فى تركيز كبير ، حتى أنه نسى التهام باقى شطيرته برغم رائحتها التى ملأت المكان .

* * *

٢ ــ أنابيب النار ..

تزايدت الحركة بشكل ملحوظ ، فى الطابق الثانى من مبنى المخابرات الحربية المصرية ، فى ذلك الصباح المشرق من شهر (سبتمبر) ، عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين ، حيث طلب مدير المخابرات عددًا من أبرز ضباطه لعقد اجتماع هام ، وعاجل ، وبرغم وجود الطابق وسط بناء محاط بالسرّية البالغة ؛ إلّا أن قيودًا إضافية وضعت حول مكتب مدير المخابرات بالذات ، مما أوحى للجميع بمدى سريّة وخطورة الأمر الذى عقد الاجتماع من أجله ...

وفى مكتب مدير المخابرات ، كانت المناقشات تحتدم حول خريطة تمثل قناة السويس ، بسطها مدير المخابرات فوق مكتبه ، وحينما نقفز داخل المناقشة ، فسنجد المدير يقول للمحيطين به من ضباط المخابرات :

ــ لقد حرص الإسرائيليون على إحاطة توزيع أنابيب النابالم المعدّة لإغراق سطح القناة بالسريّة البالغة ، وهم

ينوون إشعال نيرانها فى حالة حدوث هجوم أو محاولة لعبور القناة .. ولا يخفى على أحدكم أننا على مشارف الحرب ، ولا بدَّ لنا من معرفة الفتحات الخارجية لهذه الأنابيب ، حتى يمكن لرجال الصاعقة إبطال مفعولها قبيل العبور مباشرة .

قال أحد ضباط المخابرات :

ــ يقال إن خرائط توزيع أنابيب النار هذه ، محفوظة فى غرفة وزير الدفاع الإسرائيلى شخصيًا يا سيِّدى .

قطَّب مدير المخابرات حاجبيه ، وقال فى حزم :

ــ ولا بدَّ لنا من الحصول عليها مهما كان الثمن .

خيم الصمت التام بعد عبارة مدير المخابرات ، وبدأ كلٌّ من الحاضرين يفكِّر فى وسيلة لإنجاز هذا العمل الذى يبدو مستحيلًا ، وقطع مدير المخابرات أفكارهم وهو يقول :

ــ سأطلب منكم العمل أربعة وعشرين ساعة يوميًّا ، ونبش كل كلمة فى كل الملفات المتعلِّقة بإسرائيل ، والبحث عن أكثر الوسائل أمنًا وفعالية للوصول إلى الخزانة الخاصَّة ،

والحصول على خريطة توزيع أنابيب النار .. لن يذوق أحدكم طعم النوم بعد هذه اللحظة .. هيَّا لنبدأ على الفور .

* * *

بعد مضى عشر ساعات على هذا الاجتماع الطارئ ، وداخل غرفة ضابط مخابرات مصرى يدعى (عزت مختار) ، بدت الفوضى شديدة بكل هذه الملفَّات المتناثرة فوق مكتبه ، وعلى أرضية الغرفة ، وامتلأ جوّ الغرفة بدخان السجائر التى يشعلها واحدة بعد الأخرى فى شراهة ، ويرتشف بين الفَيْنَة والفَيْنَة رشفة كبيرة من كوب شاى ضخم ، تتصاعد أبخرته المشبَّعة برائحة النعناع المنعشة ، وإلى جواره عدة أكواب أخرى فارغة ، جفت فيها بقايا المشروب ، على حين جلس زميله (فؤاد حسين) يقلِّب عدة ملفَّات أخرى فى توتُّر واهتمام ، وقد شغلهما الأمر تمامًا حتى عن الحديث ، إلى أن هتف (عزت) فجأة ، فى لهجة توحى بالظفر :

ــ وجدتها .. وجدتها .

لم يتمالك (فؤاد) نفسه من الابتسام ، وهو يقول :

ـــ أتظن نفسك (أرشميدس) ياصاحبى ؟

تجاهل (عزت) التعليق الساخر ، وقال وهو يختطف أحد الملفات ، ويقفز نحو باب الغرفة :

ـــ لقد عثرت على الوسيلة .

انطلق (فؤاد) خلف زميله دون أن يفهم شيئًا ، على حين قفز (عزت) درجات السُّلَّم من الطابق الأول ، حيث مكتبه إلى الطابق الثانى حيث مكتب مدير المخابرات ، ودقّ بابه فى لهفة وعجلة ، ولم يكد يتلقى أمرًا بالدخول حتى دفع الباب ، واندفع داخل الغرفة صائحًا :

ـــ لقد وجدت ما نحتاج إليه يا سيِّدى .

التقى حاجبا مدير المخابرات ، وهو يسأله فى لهفة :

ـــ أحقًّا ؟! .. هاتِ ما لديك يا (عزت) .

فتح (عزت) أوراق الملف فوق مكتب مدير المخابرات ، وقال فى انفعال ، وهو يشير إلى صورة تتوسَّط إحدى الأوراق :

ـــ انظر يا سيِّدى .. هذه صورة السكرتير الأول لمكتب وزير الدفاع الإسرائيلى .. لاحظ ملامحه جيِّدًا .. من يشبه ؟

حدَّق مدير المخابرات فى الصورة جيِّدًا ، ثم غمغم :

ـــ يا إلٰهى !!

وفى حركة سريعة ، انتزع أحد الملفَّات من رفٍّ صغير خلف مكتبه ، وقلَّب أوراقه فى سرعة ، حتى توقَّف أمام صورة ما ، وهتف :

ـــ إنه قريب الشبه إلى درجة مدهشة بملازم الصاعقة هذا .

ابتسم (عزت) ، وقال فى فخر :

ـــ نعم يا سيِّدى .. ، إنه يشبه الملازم (أدهم صبرى) ، ومع قليل من المكياج لن يمكن تمييز أحدهما عن الآخر .

تدخَّل (فؤاد) قائلًا :

ــ ولكن مثل هذه الأمور لا تعتمد على التشابه الشكلىّ يا سيِّدى .. فهناك أسلوب الحديث ، والصوت ، والمميّزات العامَّة ، و ....

صاح (عزت) فى ثقة :

ــ لقد تعاملت مع (أدهم صبرى) هذا من قبل ، وأراهنكم أنه سيستوعب كل ذلك فى فترة قياسيَّة ، ولدينا هنا كل التسجيلات المطلوبة ، و ....

قاطعه مدير المخابرات ، قائلًا فى تشكك :

ــ مستحيل يا (عزت) .. لن يمكن لرجل مهما بلغت كفاءته أن يتقن ذلك كله فى خمسة أيام ، وهذا كل ما لدينا من وقت .

قال (عزت) فى حماس عجيب :

ــ دَعْ لى الأمر يا سيِّدى ، وسأتحمَّل المسئولية كاملة .

ساد الصمت تمامًا فى حجرة مدير المخابرات ، إلى أن قطعه هو قائلًا :

ــ حسنًا يا (عزت) سأمهلك يومين فقط ، وسنقرر الأمر طبقًا لما يمكن أن تسفر عنه الأمور .

وعاد إلى صمته لحظة ، ثم أردف :

ــ ولكننى مازلت أصرُّ على أن ذلك مستحيل .. مستحيل تمامًا .

* * *

٣ ــ المعجــزة ..

ــ مستحيل .. هذا رائع .. بل أكثر من رائع .

نطق مدير المخابرات المصرية هذه العبارة ، وكل خلجات وجهه تعبِّر عن دهشته الشديدة ، والإعجاب البالغ ، حتى أنه عجز عن تصديق أن الواقف أمامه فى احترام هو (أدهم صبرى) ، الملازم فى قوات الصاعقة ، بل كاد يقسم فى اللحظات الأولى أنه (ليفى باروخ) السكرتير الأوَّل لوزير الدفاع الإسرائيلى بهيئته ، وصوته ، واسلوب حديثه البطىء المتَّزن .. حتى تلك الحركة العصبيَّة التى اشتهر بها ؛ ألَا وهى حكّ ما خلف أذنه فى أثناء التفكير ..

صاح (عزت) فى فخر ، وهو يربِّت على كتف (أدهم) :

ــ لقد كنا نظن استيعاب ذلك مستحيلًا فى خمسة أيام يا سيِّدى ، وها هو ذا (أدهم) ، قد أنجزه فى يومين فقط ..

إنه ممثل رائع .. لا يمكننى أن أصدِّق ذلك .

هتف مدير المخابرات يسأل (أدهم) :

ــ كيف فعلت هذا أيها الملازم ؟. أنت معجزة .

ابتسم (أدهم) ابتسامة هادئة ، وقال :

ــ لقد اعتدت ذلك منذ طفولتى يا سيِّدى .

ضحك مدير المخابرات ضحكة تموج بالدهشة ، وهو يسأله :

ــ ولكن الصوت ، والأسلوب ؟ أنت تفُوق أعظم ممثِّل فى العالم .

قال (عزت) فى فخر ، وإعجاب :

ــ لقد بدَّل ملامحه بنفسه يا سيِّدى .

فغر مدير المخابرات فاهُ صائحًا :

ــ مستحيل .

غمغم (أدهم) فى هدوء الواثق :

ــ لا يوجد ما يسمى بالمستحيل يا سيِّدى .

صاح مدير المخابرات :

ــ هذا صحيح يا بنىّ ، أنت نفسك دليل على ذلك .

ابتسم (أدهم) ، وسأل :

ــ متى سأسافر إلى هناك يا سيِّدى ؟

صمت مدير المخابرات لحظة ، ثم قال :

ــ هذه المهمة على درجة عالية من الأهمية والخطورة أيها الملازم ، والأمر لا يحتمل إسنادها إلى أكثر من رجل ، وهذا يعنى أنك ستقوم وحدك بكل شىء ، بعد أن تُزوَّد بالمعلومات اللازمة .. إن الوصول إلى (تل أبيب) ليس بالصعوبة التى يتصوَّرها الجميع ، ولكن المهمَّة الفعليَّة تبدأ هناك ، وسيكون عليك احتلال مقعد (ليڤى باروخ) دون مساعدة ، فهل أنت قادر على ذلك ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال فى لهجة تشف عن اللامبالاة :

ــ بالطبع يا سيِّدى .

ساد الصمت لحظات ، ثم عاد مدير المخابرات يقول :

ــ ومن الضرورى حصولنا على خريطة توزيع الأنابيب فى أول أكتوبر بالتحديد ، ومن الضرورى أيضًا ألا يشعر الإسرائيليون بذلك ، وإلَّا انكشفت أوراقنا أمامهم .

قال (أدهم) فى إيجاز :

ــ نعم يا سيِّدى .

تنهَّد مدير المخابرات وهو يتفحَّص (أدهم) ، ثم قال فى جدِّية ، واهتمام :

ــ ستسافر إلى (أثينا) هذا المساء ، ثم تصل إلى (تل أبيب) فى الصباح الباكر ــ بإذن الله ــ وسيكون أمامك منذ تلك اللحظة أربعة أيام ، للحصول على الخريطة ، وبعدها سيكون الأمر قد فشل تمامًا .

رفع (أدهم) يده بالتحية العسكرية ، وهو يقول فى لهجة ارتجفت لها أجساد الحاضرين حماسًا :

ــ لن تفشل (مصر) أبدًا يا سيِّدى .

قال مدير المخابرات فى حماس مماثل :

ــ وفَّقك الله أيها الملازم .

* * *

٤ ــ فى قلب إسرائيل ..

مالت الشمس إلى المغيب فى ذلك اليوم من الأسبوع الأخير من شهر سبتمبر ، وبدت شوارع (تل أبيب) مكتظة بالمارّة ، وكل منهم يضم (ياقة) معطفه ، اتقاءً لموجة البرد المفاجئة التى اجتاحت البلاد ، باستثناء ذلك السائح الإنجليزى ، الذى سار فى خطوات وئيدة يتطلّع إلى ما حوله فى سعادة واهتمام ، شأن السيّاح فى كل الأقطار ، وقد تدلّت من كتفه آلة تصوير بسيطة ، من ذلك النوع الذى يستخدمه العامة فى (إنجلترا) ..

وبدا الشاب عاديًا بسيطًا حتى أنه لم يلفت انتباه أى من الجنود ، الذين يحرسون مدخل البناية الشاهقة ، التى يقيم فيها (ليڤى باروخ) ، وحتى الشاب نفسه ألقى على الجنود نظرة لامبالية ، ثم دخل فى هدوء وثقة إلى العمارة الملاصقة ، وهو يطلق من بين شفتيه لحنًا إنجليزيًا شهيرًا ،

ولكن هذا الموقف تبدّل تمامًا ، حينما صعد الشاب إلى الطابق الأخير من العمارة ؛ إذ اختفت فجأة نظراته العابثة ، ونفض عنه ذلك الكسل الزائف ، وبدا وكأنما تدفّق النشاط فى عروقه بشكل مباغت ، وقفز العزم إلى وجهه صارخًا ، وهو يغلق خلفه باب مسكن صغير ، تطلّ نوافذه الضيّقة على جانب البناية التى يقيم فيها (ليڤى باروخ) ، وعلى نفس الطابق تمامًا .

اقترب الشاب فى حيوية من إحدى النوافذ الضيّقة ، وأطل على الطريق الضيّق ، الذى يصل بين المبنيين ثم ابتسم فى سخرية قائلًا :

ــ جنود فى كل مكان .. يبدو أنك تعيش فى قلق دائم يا سيّدى (ليڤى باروخ) .

لم يكن هذا الإنجليزى الشاب سوى (أدهم صبرى) ، الذى انهمك فى إعداد حقيبة صغيرة الحجم ، من النوع الذى يثبت بحزامه ، وراجع محتوياتها ، ثم خلع معطفه ، فظهر من تحته زىّ داكن شديد السواد ، وعاد يتطلّع من خلال النافذة ، وكان الظلام قد ساد تمامًا ، فابتسم قائلًا :

ـــ هيًا أيها الوغد ، لا تخالف ما اعتدت عليه .. إنك تأوى إلى فراشك فى العاشرة والنصف تمامًا .

لم يكد (أدهم) يتم عبارته ، حتى أطفئت أنوار غرفة نوم (ليڤى) فى البناية المقابلة ، فابتسم (أدهم) ساخرًا ، وغمغم :

ـــ هذا ممتاز .. إنك تحافظ على عاداتك جيِّدًا يا مستر (ليڤى) .. سأتركك ساعة أخرىٰ حتى تستغرق فى النوم ، وأتعشَّم ألَّا تصاب بالأرق هذه الليلة ، وإلَّا كان ذلك فى غير صالحك .

وصمت لحظة ، ثم عاد يغمغم فى تهكُّم :

ـــ فأنا لا أحبُّ أن أقتل رجلًا يشبهنى إلى هذا الحدّ .

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى الحادية عشرة والنصف ، عندما رفع (أدهم صبرى) الحائل الزجاجى للنافذة ، وخرج منها فى صمت وهدوء ، ليتعلَّق بالحاجز العلوى لها ، ويقف بقدميه على الإفريز السفلىّ الضيِّق ، وظلَّ على

وقفته هذه بضع لحظات ، ثم نقل قدميه فى حذر حتى صار وجهه فى مقابل نافذة (ليڤى) ، فألقى نظرة إلى الطريق الضيِّق الذى بدا صغيرًا للغاية من هذا الارتفاع ، وراقب الجنديَّين اللذين يسيران جيئة وذهابًا فى حركة منتظمة ، ثم عاد ببصره يقيس المسافة التى تفصله عن إفريز نافذة (ليڤى) ، وغمغم فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـــ أربعة أمتار على ارتفاع ثلاثة وثلاثين مترًا ، وجنديَّان متأهِّبان لإطلاق النار عند أول شعور بالخطر .. يا لها من مهمة هذه التى أسندتها إلىَّ المخابرات !!

ولكن يبدو أن عبارته لم تكن تعنى أكثر من السخرية ، إذ قفز فجأة فى جرأة وخفَّة مذهلتين ، قاطعًا الأمتار الأربعة فى الهواء كنسر ضخم ، وخُيِّل إليه لجزء من الثانية أنه سيهوى فى الفضاء الواقع بين البنايتين ، إلَّا أن كفَّيه تعلقتا فى إفريز نافذة (ليڤى) فى اللحظة الأخيرة ، وتشبَّثت به أصابعه كالفولاذ ، على حين ثَنَى ركبتيه ، واستند بهما فى خفَّة إلى حائط المبنى ، حتى لا تحدث فعلته صوتًا يُنبئ عن وجوده .

شعر (أدهم) بقلبه ينبض فى قوة ، بعدما بذل مجهودًا خرافيًا ، وشعر بالخدر يسرى فى ذراعيه ، ولكنه أجبر عضلاته على الانقباض ، ورفع جسده ليجلس فوق إفريز نافذة (ليڤى) ، ثم غمغم فى صوت شديد الخفوت :

ــ الله وحده يعلم ما إذا كان نجاحك فى هذه الخطوة أفضل أم أسوأ من الاستمرار يا (أدهم صبرى) .

ولم يكد يتم عبارته ، حتى نهض فى خفَّة ليقف فوق الإفريز ، وألقى نظرة على الجنديَّين ليتأكد من عدم انتباههما لما حدث ، ثم تطلَّع إلى غرفة (ليڤى) فى حذر ، وابتسم حينما رآه يغطّ فى نومه ، فأخرج من حقيبته الصغيرة أنبوبًا رفيعًا ألصقه بزجاج النافذة وأداره فى رفق ، فصدر من تلك الحركة صوت ضئيل جعله يتوقَّف لحظة ، حتى تأكَّد من أن الصوت لم يوقظ (ليڤى) ، ثم عاود الحركة ، حتى صنع ثقبًا صغيرًا فى زجاج النافذة ، ولم يلبث أن أدلى من خلاله خيطًا من النايلون ، ينتهى بخُطَّاف صغير من خُطافات صيد الأسماك ، وحرَّكه فى رفق حتى علق فى

مزلاج النافذة ، فجذبه فى هدوء ، وهو يقول لنفسه متهكِّمًا :

ــ مرحى يا (أدهم) !! لن يكون من الصعوبة تحوُّلك إلى اللصوصية ، حينما تضع الحرب أوزارها ..

وفى هدوء وحذر شديدين ، فتح (أدهم) النافذة الزجاجية ، ثم قفز إلى الداخل فى رشاقة ، وساعده حذاؤه الكاوتشوكى على ألَّا يصدر صوتًا ، واستدار فى هدوء يغلق النافذة ، حتى لا يوقظ البرد خصمه .. ولم يكد ينتهى من ذلك حتى أخرج من حقيبته الصغيرة زجاجة من الكلوروفورم المخدِّر ، وضع بضع قطراتٍ منها فوق منديل صغير ، ثم استدار نحو (ليڤى) النائم .

أتت استدارة (أدهم) حادَّة ، حتى أنه فوجئ بقدمه تتعثَّر فى طرف السَّجادة الصغيرة ، التى تتوسَّط الحجرة ، فاختلَّ توازنه ، ولمَّا حاول استعادته ، ارتطم بمنضدة صغيرة فى صوت مزعج مفاجئ ..

وفجأة .. فتح (ليڤى باروخ) عينيه منزعجًا ، وقفز

وفى هدوء وحذر شديدين ، فتح (أدهم) النافذة الزجاجية ، ثم قفز إلى الداخل فى رشاقة ..

من فراشه منتزعًا مسدسًا ضخمًا فى أسفل وسادته ، وهو يصيح مذعورًا :

ــ من هنا ؟ ـ

وبحركة خاطفة امتدت يده إلى زرِّ الإضاءة ، وغمر الضوء الغرفة ، واتسعت عينا (ليڤى) ذعرًا ودهشة ، حينما وقع بصره على (أدهم صبرى) ، الذى تحوَّلت ملامحه بفضل موهبته الرائعة فى التنكُّر إلى صورة طبق الأصل منه ، وسقطت فكّ (ليڤى) السفلى ، وهو يغمغم فى ذهول :

ــ ما هذا بحقِّ الشيطان ؟

ثم تشنَّجت يده الممسكة بالمسدس ، وهو يصوِّبه إلى رأس (أدهم) صائحًا :

ــ ماذا تعنى هذه الخُطَّة الشيطانية ؟ أخبرنى قبل أن أطلق النار على رأسك .

* * *

٥ ــ الشبيهان ..

وقف (ليڤى) يحدّق فى وجه (أدهم) مذهولًا ، على حين عقد هذا الأخير ساعديه أمام صدره ، وابتسم فى سخرية ، قائلًا بعبرية سليمة للغاية :

ــ ألَمْ تعرفنى يا (ليڤى) ؟ .. أنا توءمك السفلى .

ازدادت الدهشة فى وجه (ليفى) ، وهو يقول :

ــ توءمى ماذا ؟

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

ــ ألَمْ تسمع عن ذلك من قبل ؟ أنا قرينك من عالم الجن ، ولقد أتيت لاصطحابك إلى الجحيم ، وهذا مناسب تمامًا لأفعالك .

غمغم (ليڤى) فى ذهول :

ــ الجحيم ؟!!

ثم تحوَّلت لهجته فجأة إلى الغضب ، وهو يردف :

ــ أيَّة خدعة سخيفة هذه ؟ كيف دخلت إلى هنا ؟

وقبل أن ينطق (أدهم) بعبارة أخرى ساخرة ، ارتفع صوت دقَّات قلقة على باب حجرة (ليڤى) ، وسمع الاثنان صوتًا أجش يقول :

ــ أنا (شاءُول) يا سيِّد (ليڤى) .. هل أنت بخير ؟ هل حدث ما يسىء ؟

همَّ (ليفى) بإجابة حارسه الخاص ، ولكن الكلمات احتبست فى حلقه ، حينما قال (أدهم) فى صوت مرتفع يشبه صوته تمامًا ، وبنفس أسلوبه :

ــ لا عليك يا (شاءُول) .. إنه مجرد كابوس سخيف .

ولم يكد (ليڤى) يفتح فمه ليكذب ذلك ، حتى خُيِّل إليه أن (أدهم) قد اختفى فجأة ، ثم تنبَّه إلى أنه قفز يسارًا ، فحاول الاستدارة لمواجهته ، ولكن معصمه تلقَّى ركلة قوية ، أطاحت بمسدسه إلى ما فوق الفراش ، وحينما حاول أن يصرخ مستنجدًا بحارسه ، كتم (أدهم) صيحته

بلكمة ساحقة ، تحطَّمت لها أسنان (ليڤى) ، وشعر بالأرض تميد به ، ثم أظلمت الدنيا تمامًا أمامه ، عندما عاجله (أدهم) بلكمة أخرى هشَّمت أنفه ، وألقت به فى غيبوبة عميقة .

عاد (شاءُول) يدق باب الغرفة ، صائحًا فى قلق :

ــ افتح الباب يا سيِّدى .. إننى أسمع صوت شجار .

صاح (أدهم) مقلِّدًا صوت (ليڤى) ، وهو يجذب هذا الأخير إلى أسفل الفراش :

ــ لقد ارتطمت بالمائدة يا (شاءُول) ، عُدْ أنت إلى فراشك .

قطَّب (شاءُول) حاجبيه ، وشعر بالشك يجُوب خلاياه ، فعاد يدقّ الباب فى عناد ، وهو يقول فى إصرار :

ــ لا بدَّ لى من تفقُّد الحجرة يا سيِّدى .. معذرة .. ولكنها إجراءات الأمن .

وفى هدوء فتح (أدهم) الباب ، بعد أن ارتدى منامة (ليڤى) ، وقال فى خشونة :

ــ كيف تتحدَّث بهذه اللهجة ؟.. هل جُنِنْتَ يا (شاءُول) ؟

اطمأنَّ قلب (شاءُول) حينما وقع بصره على (أدهم) ، المتنكر فى هيئة (ليڤى) ، وقال فى لهجة تحمل الاعتذار :

ــ عفوًا يا سيِّدى .. لقد خشيت أن ....

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

ــ إذهب إلى فراشك يا (شاءُول) ، أنا قادر على حماية نفسى .

أطاع (شاءُول) الأمر فى استسلام ، على حين عاد (أدهم) إلى الغرفة ، وأغلق بابها خلفه فى إحكام ، ثم أخرج (ليڤى) ، وأحكم قيده جيِّدًا ، وكمَّم فمه فى إحكام ، وحمله إلى صِوَان ملابسه الضخم ، فألقاه داخله ، وقال وهو يبتسم فى سخرية :

ــ فلتبقَ هنا أيها الوغد ، وعليك أن تحتمل البقاء دون طعام حتى مغيب شمس الغد .. حينئذ أكون انتهيت من مهمتى بإذن الله .

* * *

رفع الحارس الإسرائيلى بندقيته تحيةً واحترامًا ، عندما عبر (أدهم) بوابة وزارة الدفاع على هيئة (ليفى باروخ) ، وبلغ من دقة تنكُّره أن أحدًا لم يلتفت إليه إلَّا بالتحية طوال مسيرته من البوَّابة إلى مكتب (ليفى) ، حيث خلع معطفه ، وجلس خلف المكتب يزاول الأعمال التى اعتاد (ليفى) أداءها ، وهو يحكّ ما خلف أذنه بين لحظة وأخرى ، كعادة الإسرائيلى الذى ينتحل شخصيته .. ولم تكد تمضى دقائق معدودة ، حتى سمع صوت وزير الدفاع الإسرائيلى يقول من خلال جهاز الاتصال الداخلى :

ــ هل وصلت يا (لقى) ؟

ضغط (أدهم) على زرِّ الاتصال ، وقال مقلِّدًا صوت (ليفى) فى إتقان :

ــ نعم يا سيِّدى ، فى خدمتك .

قال الوزير الإسرائيلى :

ــ أحضر لى ملف العمليات الخارجية فورًا .. أريد مراجعة بعض الأمور المتعلِّقة بالجيش المصرى .

أجابه (أدهم) بالإيجاب ، وتحرَّك فى هدوء ، ملتقطا أحد الملفات التى تحمل رقمًا سرِّيًا ، وفتح باب وزير الدفاع ، ودخل إلى مكتبه فى هدوء ، وهو يؤدِّى التحية العسكرية ..

رفع وزير الدافاع الإسرائيلى رأسه ، وألقى نظرة عاديَّة على (أدهم) ، ثم تناول منه الملف وهو يقول :

ــ هل وصلت تقارير (الموساد) عن الجبهة المصرية ؟

حكَّ (أدهم) ما خلف أذنه ، وهو يقول :

ــ ليس بعدُ يا سيِّدى .

قال وزير الدفاع ، دون أن يرفع رأسه إليه :

ــ أريدها على مكتبى فور وصولها ، فالمصريون يتحرَّكون تحرُّكات مريبة هذه الأيام .

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة لم يلمحها وزير الدفاع ، ثم قال :

ــ دَعْنا من تحرُّكاتهم يا سيِّدى ، إنهم لن يجرءوا على محاربتنا مطلقًا .

قال وزير الدفاع دون أن يرفع رأسه إليه :

ــ أريدها على مكتبى فور وصولها ..

أشاح وزير الدفاع الإسرائيلى يده دون أن ينطق بكلمة ، فاستدار (أدهم) ، وتحرَّك مغادرًا الغرفة ، ولكن عينيه المتمرِّستين فحصتا غرفة وزير الدفاع فى سرعة ودقَّة ومهارة ، حتى توقَّفتا أمام خزانة إليكترونية صغيرة فى الركن الشمالى من الغرفة ، وارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) ، وهو يغلق باب الغرفة خلفه ، ثم أسرع إلى الملفَّات السِّرية المتراصَّة فوق عدة رفوف أنيقة فى مكتب (ليڤى) ، وانتقى أحدها ، وفتحه ، وأخذ يقرأ ما فيه بسرعة واهتمام ، حتى سمع صوتًا من خلفه يقول :

ــ كيف حالك يا (ليڤى) ؟ هل وصل الجنرال ؟

التقى حاجبا (أدهم) حينما سمع صوت المتحدِّث ، وميَّزه ، والتفت فى هدوء يتأمَّل وجهه .. كان الواقف أمامه هو (شيمون إليعازر) ، ألمع ضباط جهاز المخابرات الإسرائيلى .

★ ★ ★

٦ ــ لقــاء الذئاب ..

كان هذا هو الاختبار الحقيقى لبراعة (أدهم صبرى) ، وقدرته على تقمُّصِ شخصية (ليڤى باروخ) ، والتحكُّم فى هدوء أعصابه ، حينما يواجه أبرع رجال المخابرات الإسرائيلية ، والرجل الذى حاربه شخصيًا منذ ما يزيد قليلًا على العام(*) ، والحق يقال إن أعصاب (أدهم صبرى) كانت فولاذية صلبة فى هذه اللحظة ، إذ بدت ابتسامته طبيعيّة مألوفة وهو يحكّ ما خلف أذنه قائلًا :

ــ مرحبًا يا سيِّدى الجنرال (شيمون) ، إن السيِّد وزير الدفاع فى مكتبه منذ الصباح الباكر .

سأله (شيمون) فى ودٍّ ، وهو يتَّجه إلى مكتب وزير الدفاع الإسرائيلى :

ــ كيف حال جرحك يا (ليڤى) ؟.. أما زال يؤلمك ؟

(*) راجع قصة (الخطوة الأولى) .. المغامرة رقم (٣١) .

قطَّب (أدهم) حاجبيه ، وتردَّد لحظة ، متسائلًا فى قرارة نفسه عن أمر هذا الجرح الذى لم يرد فى تدريباته ، ثم قدَّر أنه شىء بسيط ، بدليل عدم اهتمام المخابرات المصريَّة بذكره ؛ مما دفعه إلى أن يقول فى لهجة ظاهرة البساطة :

ــ لقد التأم يا سيِّدى،إن الأساليب العلاجية الطبِّية تتقدَّم فى سرعة .

كان (شيمون) قد مدَّ يده ليفتح باب غرفة الوزير ، ولكنها تسمَّرت لحظة ، والتقى فيها حاجباه فى دهشة شديدة ، إلَّا أنه برغم ذلك قال فى هدوء :

ــ هكذا !؟ يسعدنى شفاؤك يا (ليڤى) .

شعرت غريزة (أدهم) بالخطر ، دون أن يدرى سبب ذلك ، وتعمَّق داخله هذا الشعور ، حينما أعاد (شيمون) يده إلى جانبه ، بدلًا من دخول غرفة وزير الدفاع ، وتوقَّف لحظة صامتًا وهو يُولى ظهره شطر (أدهم) ، ثم التفت إليه وعلى شفتيه ابتسامة ماكرة قميئة ، وقال :

ـ ما رأيك أن نتناول كوبًا من البيرة المثلجة ، قبل لقائى مع وزير الدفاع ، يا عزيزى (ليڤى) ؟

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا فى بطء ، وقال :

ـ شكرًا يا سيِّدى ، ولكنك تعلم عدم ميلى لتناول الخمّور ، وخصوصًا بسبب التهاب الكلَى المزمن ، الذى أصبت به منذ سنوات .

عقد (شيمون) حاجبيه وهو يتأمَّل (أدهم) بنظرة متسائلة فاحصة ، ثم عاد يبتسم قائلًا :

ـ فلنجعلها فنجانة من القهوة إذن .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ شكرًا يا سيِّدى .. ولكننى أعانى بعض الحموضة هذا الصباح .

ظهرت الصرامة فى ملامح (شيمون) ، وهو يقول :

ـ حسنًا يا (ليڤى) ، سنؤجل ذلك لما بعد .

ثم استدار فى هدوء ، ودخل إلى غرفة وزير الدفاع ، وأغلق الباب خلفه فى قوة .

★ ★ ★

نهض وزير الدفاع الإسرائيلى لمصافحة (شيمون) ، الذى بدا التفكير العميق على وجهه ، وهو يبادره قائلًا :

ـ هل رأيت (ليڤى) هذا الصباح ؟

نظر إليه وزير الدفاع فى دهشة ، وارتفع حاجبه ، على حين تقلَّصت العصابة السوداء التى تغطِّى عينه اليسرى وهو يسأله :

ـ (ليڤى) ؟!

أجابه (شيمون) فى عجلة :

ـ نعم ، (ليڤى باروخ) ، سكرتيرك الأول .. هل رأيته هذا الصباح ؟

ابتسم وزير الدفاع ابتسامة تعبِّر عن حَيْرته ودهشته ، وهو يقول :

ـ بالطبع ، ألَمْ تجده فى مكتبه ؟

مطَّ (شيمون) شفتيه ، وقال :

ـ لقد قابلت رجلًا يشبهه تمام الشبه ، ولكنه ليس هو .

صاح وزير الدفاع الإسرائيلى فى دهشة :

ـ ليس ماذا ؟!

ثم قهقه ضاحكًا ، وهو يردف :

ـ هلَ عُدت إلى تناول الخمر فى الصباح الباكر يا (شيمون) ؟

قال (شيمون) فى عصبية :

ـ هذا الرجل ليس (ليڤى) ، وأنت تسمع قول خبير مخابرات لا يشق له غبار .

توقّف وزير الدفاع الإسرائيلى عن الضحك ، وقال فى ضيق :

ـ اسمع يا (شيمون) .. إننى أعمل مع (ليڤى) ، أو على الأصح هو يعمل معى منذ عشرة أعوام تقريبًا ، ولا يمكننى أن أخطئه .

مال (شيمون) إلى الأمام ، واستند براحتيه إلى سطح مكتب الوزير الإسرائيلى ، وقال فى لهجة جادَّة حازمة :

ـ هل تذكر تلك الترقية التى نالها (ميناس راحونيل) ؟ لقد أغضبت (ليڤى) كثيرًا ، وأصرَّ على أنه أكثر

استحقاقًا لها ، وقال : إن ذلك أصابه بجرح لن يندمل ، وإنه سيؤلمه إلى الأبد .

قال وزير الدفاع فى اهتمام :

ـ أذكر ذلك جيّدًا .

عاد (شيمون) يقول :

ـ لقد اعتدت مداعبة (ليڤى) ـ كلما لقيته ـ بسؤاله عن جرحه وآلامه ، وكان فى كل مرة يجيبنى ضاحكًا بأنه أحق بالترقية .. أمَّا هذا الصباح ؛ فحينما سألته تردَّد لحظة ، وكأن السؤال كان مفاجئًا ، ثم أجابنى بأنه قد التأم بسبب تقدُّم وسائل الطِّبّ الحديثة .

ظهر الاهتمام على وجه الوزير الإسرائيلى ، وهو يعتمد بذقنه على قبضته مغمغمًا :

ـ أحقًّا ؟

استمر (شيمون) يتابع حديثه قائلًا :

ـ وهنا شككت فى الأمر ، فاستدرت إليه ، وسألته إن كان يجب أن يتناول معى كأسًا من البيرة ، ولكنه اعتذر بحجة مرض الكُلى المزمن الذى أصابه منذ سنوات . علمًا

بأننا حتى أمس كنا نتناول معًا كوبًا من البيرة كل صباح .

نهض وزير الدفاع الإسرائيلى فى حركة لا إرادية ، وهو يهتف :

ــ يا للشيطان !! سآمر بإلقاء القبض عليه ، و ....

قاطعه (شيمون) قائلًا :

ــ كلَّا يا سيِّدى .. معذرة .. ولكننى أحبُّ التأكُّد مما نفعل أولًا ، ثم إننى أريد معرفة ماذا يسعى إليه هذا الرجل .

صمت وزير الدفاع الإسرائيلى لحظة ، ثم قال :

ــ وهل نتركه يتمادى ؟

ابتسم (شيمون) ابتسامة ماكرة ، وقال :

ــ اطمئن يا سيِّدى وزير الدفاع ، سأجبر هذا الرجل على كشف أوراقه ، ثم نضع رقبته تحت المقصلة .. إننى أهوى ذلك يا سيِّدى .

★ ★ ★

٧ ــ أجراس الخطر ..

جلس (أدهم صبرى) على مكتب (ليفى باروخ) عاقدًا حاجبيه ، يفكِّر فى عمق ؛ إذ أثار تصرُّف (شيمون) ريبته ، وشكّه ، حتى أنه أخذ يراجع كل تصرُّف قام به منذ ولُوجه مقر وزارة الدفاع الإسرائيلية ، وكل كلمة نطق بها حتى توقَّف عند الحوار الذى دار بينه وبين (شيمون) ، وأخذ يراجعه فى اهتمام ، وهدوء ، ثم لم تلبث عيناه أن برقتا ببريق الفهم ، وغمغم فى سخرية :

ــ إذن فقد كشفت أمرى يا (شيمون) .. إنك تضطرَّنى لمحاربتك بوجه مكشوف .

ثم نهض فورًا ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة مستهترة ، ودقَّ باب مكتب الوزير الإسرائيلى ، ثم لم ينتظر ردًّا ، ودفع الباب ، ودخل ليقف أمام (شيمون) ووزيره .

رفع الاثنان رأسيهما يتأملانه فى دهشة، ثم سأله (شيمون) فى خشونة :

ــ ماذا تريد يا (ليڤى) ؟ كيف تدخل إلى المكتب دون أن نأذن لك ؟

وفجأة .. وفى هدوء عجيب ، رفع (أدهم) فوَّهة مسدّسه نحو الرجلين ، وقال فى لهجة تخالف لهجة (ليڤى) ، وصوته :

ــ معذرة أيها السادة ، ولكننى لا أجد مبّررًا لاستمرار اللُعبة .

ظهر الغضب على وجه الوزير الإسرائيلى ، وصاح (شيمون) فى حنق :

ــ لقد كشفت أمرك منذ البداية أيها الجاسوس .. ماذا فعلت برجلنا (ليڤى) ؟

قال (أدهم) فى لهجة ساخرة :

ــ أهنئك أيها الوغد ، هذا يثبت ذكاءك بالفعل ، ولكنى أعتقد أنه من الأفضل تأجيل الحديث فى هذا

الأمر .. أما الآن فهل تتكرَّم بتقييد السيِّد وزير الدفاع ؟

فتح وزير الدفاع الإسرائيلى عينه الواحدة عن آخرها ، وهو يغمغم :

ــ ماذا ؟

أجابه (أدهم) فى لهجة حازمة ، ترتجف لها أشد القلوب شجاعة :

ــ سينفِّذ كلاكما الأمر فورًا ، ولتحذرا ، فأنا لا أتميَّز بالصبر .

* * *

اختقن وجه وزير الدفاع الإسرائيلى بدماء الغضب ، حينما انتهى (شيمون) من تكبيل يديه ، وتكميم فمه ، على حين قال هذا الأخير فى غضب وحنق ، وهو يواجه (أدهم) :

ــ هذا التصرُّف الأحمق ، يؤكِّد عدم انتمائك لجهة منظمة أيها الرجل .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ وقولك الأحمق هـذا يؤكـد سـخافتك أيهـا الوغد .

احتقن وجه (شيمون) غضبًا ، وصاح :

ـ إنك لن تخرج من هنا حيًا .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

ـ ياله من موقف عسير ! إننى أرتجف خوفًا .

قال (شيمون) فى غضب عارم :

ـ أقسم بحائط المبكى ، أن أجعلك تدفـع ثمن سخريتك هذه .

ابتسم (أدهم) فى تهكُّم ، واقترب منه قائلاً :

ـ سينهار حائط المبكى نتيجة لقسمك هذا ، أو أنك ستقضى ما بقى لك من العمر تبكى إلى جواره .. والآن هل تسمح لى بتقييدك أيها الوغد ؟

وفجأة .. طوَّح (شيمون) بيده فى قوة ، وأطاح بمسدس (أدهم) ، ثم اتخذ وضعًا قتاليًّا ، وهتف فى شراسة :

وفجأة .. طوَّح (شيمون) ، بيده فى قوة ، وأطاح بمسدس (أدهم) ، ثم اتخذ وضعًا قتاليًّا ..

ـــ لقد خسرت أيها الشيطان .. سأعلّمك الآن كيف يقاتل المحترفون .

★ ★ ★

تألّق بريق الفوز فى عين وزير الدفاع ، حينما رأى تلميذه (شيمون) يواجه (أدهم صبرى) فى قتال بالأيدى العارية ؛ إذ كان (شيمون) قد تلقّى تدريباته القتالية على يديه .. وكان وزير الدفاع الإسرائيلى يثق فى قدرات تلميذه إلى أقصى درجة ؛ لذا فبمجرّد أن أطاح (شيمون) بمدس (أدهم) ، اعتبر وزير الدفاع الأمر منتهيًا ..

بدأ (شيمون) الضربة الأولى ، موجّهًا لكمة قوية إلى فكّ (أدهم) ، وهو يقول :

ـــ لقد اعتدت بدء الضربة الأولى أيها الشيطان .

تلقّى (أدهم) الضربة على ساعده فى بساطة تثير الدهشة ، ثم قال ساخرًا :

ـــ ولكنك تنهزم من الضربة الثانية أيها الوغد .

وفى رشاقة مذهلة ، انحنى (أدهم) يسارًا ، وغاص

بجسده إلى أسفل فى مرونة ، ثم انتصب كالشيطان موجها لكمة ساحقة إلى فكّ (شيمون) ، ألقت به عدة أمتار إلى الوراء ، فاصطدم بحاجز مكتب وزير الدفاع الإسرائيلى ، ثم اندفع إلى الأمام ، حيث تلقاه (أدهم) بلكمة غاصت فى معدته ، تأوّه لها (شيمون) فى ألم ودهشة ، ثم لم يلبث أن أصدر حشرجة مكتومة .. حينما هوت قبضة (أدهم) على فكّه كالقنبلة ، أعقبتها أخرى فى أنفه ، ثم ثالثة بين عينيه ، وسقط رجل المخابرات الإسرائيلى فاقد الوعى .

شحب وجه الوزير الإسرائيلى ، حينما رأى تلميذه يسقط كجوال فارغ ، وسمع (أدهم) يقول فى سخرية :

ـــ هل علمت الآن كيف يقاتل المحترفون أيها الوغد ؟

وفى هدوء .. التفت (أدهم) إلى الخزانة التى تضم أهم أسرار الجيش الإسرائيلى ، ثم سار نحوها فى خطوات متّزنة على مرأى من الوزير ، الذى حاول جاهدًا التخلُّص من قيوده، ولكن عبثًا .. وامتدت أصابع (أدهم) المدرّبة تعالج قفل الخزانة الإليكترونى ، متجاهلاً الغمغمة الملتاعة التى تصدر من فم الوزير الإسرائيلى المكمَّم ..

وما هى إلا لحظات ، حتى استجابت الخزانة للأصابع المدرَّبة ، وخضعت لها فى خنوع ، وفتح (أدهم) باب الخزانة ، ثم تناول الأوراق المكدَّسة داخلها ، وأخذ يفحصها فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن تناول منها ورقة دسَّها فى جيبه ، والتفت إلى الوزير الإسرائيلى ، قائلًا فى سخرية :

ــ وداعًا أيها الوزير ، هاقد حصلت على ما أبتغى .

وفى هدوء غادر مكتب الوزير ، وأغلق الباب خلفه ، ثم تناول معطفه ، وارتداه وهو يغادر مكتب (ليفى) إلى الخارج ، ويلقى التحية على من حوله كعادة هذا الأخير ، حتى وصل إلى الباب الخارجى ، وسأله حارس البوابة فى ودٍّ :

ــ هل تنصرف اليوم مبكِّرًا يا سيِّد (ليفى) ؟

ابتسم (أدهم) قائلًا :

ــ نعم يا صديقى ، فأنا أشعر ببعض التعب .

ثم أردف وهو يبتسم ابتسامة غامضة :

ــ وزير الدفاع يأمر بعدم دخول أى زائر إليه حتى

الثانية .. لا تنسَ ذلك ، حتى الثانية تمامًا ، وإلَّا كانت النتائج خطيرة .

* * *

فتح (شيمون) عينيه ، وتأوَّه فى ألمٍ ، ثم استعاد ذهنه صفاءه دفعة واحدة ، فقفز من مكانه صائحًا :

ــ ربَّاه !! لقد أفلت الشيطان !!

صكَّ أذنيه صوت غمغمة وزير الدفاع، فهرع إليه يفكّ قيوده ، ولم يكد يرفع الكمامة عن فمه ، حتى صاح الوزير فى غضب :

ــ هل جُنِنْتَ حتى تقيِّدنى بهذه القوة ؟ إننى أحاول عبثًا التخلُّص من قيودى منذ ساعة كاملة .

اتسعت عينا (شيمون) عن آخرهما ، وهو يصيح :

ــ ساعة كاملة ؟! هل فقدت وعيى طوال هذا الوقت ؟ أين ذهب الجاسوس ؟

أشار وزير الدفاع فى حنق إلى الخزانة المفتوحة ، وهو يقول :

ـــ لقد حصل على بغيته ، وانصرف فى هدوء ، كما لو كان يغادر منزله الخاص .

ثم صرخ فى غضب :

ـــ إنها فضيحة .. لابدَّ أن نحتفظ بهذا الأمر طىَّ السرِّيَة والكتمان مدى الحياة .

تحرَّك (شيمون) فى خطوات واسعة نحو الخزانة المفتوحة ، وتناول الأوراق ، وأخذ يفحصها فى سرعة ودقة ثم غمغم :

ـــ عجبًا .. لقد أخذ ورقة واحدة .. ولكن ماذا يريد ؟

قطع عبارته ، حينما وصل إليه صوت وزير الدفاع الإسرائيلى وهو يتحدث فى الهاتف الداخلى ، قائلًا فى غضب :

ـــ هل انصرف (ليفى) ؟ (ليفى باروخ) ؟

ولم يكد يتلَّقى إجابة سؤاله ، حتى احتقن وجهه غضبًا ، وأغلق الخط صائحًا :

ـــ هذا الشيطان انصرف على الفور ، وطلب من الحراس عدم إزعاجنا ، أو السماح بدخول الزائرين إلينا قبل الثانية .

نظر (شيمون) فى ساعته ، ثم صاح :

ـــ يا إلهى !! إنها الواحدة .. أمامنا ساعة كاملة ، قبل الموعد الذى يتوقَّع تحرُّكنا فيه .

ثم اختطف سمَّاعة الهاتف ، وصاح :

ـــ صِلْنى بمنزل (ليفى باروخ) على وجه السُّرعة .

ورفع رأسه إلى وزير الدفاع ، صائحًا :

ـــ أراهن أنه سيعود إلى منزل (ليفى) ، وسأطلب من (شاءول) إطلاق النار عليه فورًا .

* * *

باسل
Www.dvd4arab.com

٨ ــ الهارب ..

توقَّفت سيارة سوداء فارهة ، أمام مدخل البناية التى يقيم فى أحدى شققها (ليڤى باروخ) ، وقفز منها رجل المخابرات الإسرائيلى (شيمون) ، بطريقة تشف عن العجلة ، ولم يلبث وجهه أن تجهَّم بشدة حينما وقع بصره على (شاءول) ، فانقض عليه ، وجذبه من (ياقة) معطفه فى عنف صائحًا :

ــ من سمح لك بالهبوط إلى هنا ؟ ألَمْ تكلَّف حماية (ليڤى باروخ) شخصيًّا ؟

صاح (شاءول) فى ذعر ودهشة :

ــ ولكن السيِّد (ليڤى) نفسه هو الذى طلب منِّى الهبوط يا سيِّدى .. ولقد أمرنى أن أصحبك إلى منزله فى الثانية .

غمغم (شيمون) فى حنق :

ــ هذا الوغد .

ثم أسرع يرتقى درجات السُّلَّم صائحًا :

ــ اتبعنى يا (شاءول) ، واطلب من الجنود حراسة المدخل ، وباب المصعد والقبض على (ليڤى) إذا ما حاول استخدام أحدهما للهرب .

اتسعت عينا (شاءول) ذهولًا ، وهو يغمغم :

ــ الهرب ؟! ماذا يحدث بحقِّ الشيطان ؟

صعد (شيمون) درجات السُّلَّم فى سرعة وهو يلهث من التعب والانفعال ، حتى وصل إلى منزل (ليڤى باروخ) ، فدفع بابه فى قوة ، واندفع إلى الداخل ، وهو يصوِّب مسدسه صائحًا :

ــ استسلم أيها الجاسوس ، أو ....

ولكنه بتر عبارته فجأة ، وهو يحدِّق فى الجسد المسجَّى أمامه فى منتصف بهو المنزل ، وعلى مقربة منه سقط منديل تفوح منه رائحة الكلوروفورم ..

أسرع (شيمون) إلى الرجل فاقد الوعى ، ورفعه قليلًا عن الأرض ، ثم صاح :

ـــ يا للشيطان !! إنه (ليڤى) .. ماذا حدث ؟

فتح (ليڤى) عينيه فى صعوبة ، وقال فى صوت متحشرج ، وهو يشير إلى باب المنزل :

ـــ أسرعوا .. سيستخدم السطح للقفز إلى المبنى المجاور .

صرخ (شيمون) :

ـــ أسرع يا (شاءول) .. ألق القبض على كل من يحاول الهرب عن طريق السطح ، ومُرْ رجالك بمحاصرة المبنى المجاور ، ومنع أى إنسان من مغادرته .

ثم عاد يُولى اهتمامه شطر (ليڤى) ، وربَّت على وجنته متسائلًا :

ـــ ماذا حدث يا (ليڤى) ؟ ما الذى فعله بك هذا الجاسوس ؟

تعثَّر (ليڤى) وهو يحاول النهوض ، معتمدًا على ساعد (شيمون) ، ثم ألقى نفسه فوق أقرب المقاعد إليه ، وازدرد لعابه فى صعوبة وهو يقول :

ـــ إنه شيطان ، لست أدرى كيف يشبهنى إلى هذا الحدّ ، حتى صوته يـ....

قاطعه (شيمون) فى ضجر وحزم :

ـــ ماذا حدث يا (ليڤى) ؟

صمت (ليڤى) لحظات ، ثم قال :

ـــ لقد هاجمنى أمس ، بعد أن أويت إلى فراشى ، ولقد قاومته ، ولكنه أفقدنى وعيى ، وحينما استيقظت وجدت نفسى مقيدًا ، ومكمَّمًا داخل صِوَان ملابسى ، فأخذت أدُقّه من الداخل بقدمى ، ولكن أحدًا لم يسمعنى حتى عاد فى الثانية عشرة تقريبًا،فحلَّ وثاق ، ورفع كمامتى ، ثم هدَّدنى بالقتل إذا ما حاولت الاستنجاد بأحد ، ولكننى غافلته وانطلقت هاربًا ، ولحق بى فى الرّدهة ، وفوجئت به يضع منديلًا تفوح منه رائحة الكلوروفورم على فمى وأنفى .. حاولت كتم أنفاسى ، ولكننى فقدت وعيى فى النهاية ، وهأنذا أستيقظ بين يديك يا سيِّدى .

ظهر الغضب على وجه (شيمون) ، وهو يتحرك فى عصبيّة قائلًا :

ـــ لا ريب أنه نجح فى الفرار مستغلًا هذا الوقت الطويل .. ياللشيطان !!

وصمت لحظة ، ثم التفت إلى (ليفى) قائلًا :

ــ أسرع بارتداء ملابسك يا (ليفى) .. ستصحبنى إلى وزارة الدفاع .. فأنا أريد معرفة الكثير عن هذا الأمر .

* * *

ضرب وزير الدفاع الإسرائيلى بقبضته على سطح مكتبه فى غضب ، وصاح :

ــ لَمْ تعُد الوثيقة المسروقة تثير اهتمامى يا (شيمون) .. إن ما يثير فى نفسى الحنق ، هو أنه نجح فى الوصول إلى خزانتى الخاصة .. إننى أشعر بالعار .

قال (شيمون) فى هدوء :

ــ لقد تكتَّمنا الأمر تمامًا يا چنرال ، حتى مجلس الوزراء والكنيست لن يعلموا به ، فنحن نعلم أن ذلك قد يجبر سيادتك على الاستقالة .

صمت وزير الدفاع لحظة ، ثم قال فى غضب :

ــ لماذا تصرُّ على مناقشة أمر الوثيقة المسروقة إذن ؟

تدخَّن (ليفى) قائلًا :

ــ معذرة يا سيِّدى الوزير ، ولكن ما يقلق الچنرال (شيمون) ، هو لماذا اختار هذا الجاسوس الشيطان هذه الوثيقة بالذات ؟

ابتسم (شيمون) ابتسامة عجيبة ، وهو يقول :

ــ هذا ما أقصده بالفعل يا سيِّدى الوزير ، فلماذا يخاطر رجل باقتحام مكتب وزير الدفاع الإسرائيلى بهذه الصورة السافرة ، لمجرَّد الحصول على أسماء قادة منظمة التحرير الفلسطينية فى أوربا ، برغم أن هذا يعدّ معروفًا تقريبًا للجميع ؟

صمت وزير الدفاع الإسرائيلى مفكِّرًا ، على حين قال (ليفى) :

ــ ربما ظن أننا لا نملك وثيقة أخرى تحوى الأسماء ، وهو يحاول بسرقتها حرماننا معرفتها .

غمغم الوزير :

ــ جهاز مخابراتنا يمكنه جمع هذه الأسماء فى أقل من أربع وعشرين ساعة .

قال (شيمون) مفكرًا :

ــ ربما هناك عمل خطير سيتم فى هذه الساعات ، يا سيِّدى الوزير :

تنحنح (ليڤى) ، وقال فى تردد :

ــ هل يسمح سيِّدى الوزير بتنبيهه إلى خطإٍ آخر ؟

قال الوزير فى غضب :

ــ أى خطإٍ هذا يا (ليڤى) ؟

ظهر التردُّد على وجه (ليڤى) ، حتى أن (شيمون) صاح به :

ــ تكلَّم يافتى .. قل ما تريد .

استمر تردُّد (ليڤى) لحظة ، ثم قال :

ــ أعْنى أننا نحتفظ بوثائق فردية هنا ، مما يعرِّضنا إلى بعض الخطإ لو نجح أحدهم فى إعدامها ، فلماذا لا تحتفظ المخابرات بنسخة من كل ما لدينا ؟

ساد الصمت التام بعد تعليق (ليڤى) ، ثم غمغم (شيمون) :

ــ إنها فكرة رائعة ، ولقد اقترحتها على سيادة الوزير منذ زمن .

عاد الصمت يخيِّم على جوِّ الغرفة ، إلى أن قال وزير الدفاع الإسرائيلى ، وكأنه يحدث نفسه :

ــ ولِمَ لا ؟

ثم التفت إلى (ليڤى) ، وقال :

ــ قُمْ بتصوير كل الوثائق المحفوظة فى خزانتى الخاصة ، مستخدمًا آلة التصوير التى فى مكتبى هنا ، فلست أثق فى خروج وثيقة واحدة خارج مكتبى .

ثم نهض وفتح خزانته الخاصة ، وفحص الأوراق فى عناية ، ثم ناولها إلى (ليڤى) ، وأشار إلى آلة التصوير فى ركن الحجرة ، فنهض (ليڤى) ، وبدأ يصنع نسخًا ثانية من الوثائق ، على حين قال وزير الدفاع وهو يحادث (شيمون) :

ــ ألَمْ تعثر بعد على أثر لذلك الجاسوس ؟

هزَّ (شيمون) رأسه أسفًا ، وقال :

ـ كلًا للأسف يا سيِّدى الوزير .. لقد كشفنا أنه استأجر منزلًا مجاورًا لبناية (ليڤى) ، ولقد وجدنا هذا المسكن فارغًا ، ووجدنا به جواز سفر يحمل اسمًا إنجليزيًّا ، ولكن الصورة المثبَّتة به لا تشبه (ليڤى) .. لا ريب أن هذا الشيطان يجيد التنكُّر للغاية .

عضَّ وزير الدفاع شفتيه ، دون أن ينبس بكلمة واحدة ، على حين اقترب (ليڤى) ، وأدَّى التحيَّة العسكرية قائلًا :

ـ لقد انتهيت من نسخ الوثائق يا سيِّدى .

تناول وزير الدفاع الإسرائيلى الوثائق والنسخ ، وقارن بعضها ببعض ، ثم أعاد الوثائق إلى خزانته ، وناول النسخ إلى (شيمون) ، وهو يقول :

ـ هاكَ النسخة الثانية من أسرارنا يا (شيمون) ، وحذار أن تفقد ورقة واحدة منها .

تناول (شيمون) النسخ وهو يبتسم ، على حين قال (ليڤى) فى تردُّد :

ـ هل تسمح لى بالانصراف يا سيِّدى الوزير ؟ مازلت أشعر ببعض التعب و ....

قاطعه الوزير قائلًا :

ـ خسنًا يا (ليڤى) .. عُدْ إلى منزلك ، وكفاك ما أصابك هذه الليلة .

انصرف (ليڤى) فى بطء وهدوء ، على حين التفت (شيمون) إلى وزير الدفاع قائلًا :

ـ مسكين (ليڤى) .. لقد عانى الكثير على يد هذا الجاسوس الشيطان .

غمغم الوزير فى حنق :

ـ لقد عانينا أكثر يا (شيمون) ، إننى مازلت أشعر بالعار .

جلس (شيمون) قائلًا :

ـ ولكننى أشفق على (ليڤى) ، فهو ليس صلب العود مثلنا يا جنرال .. إنه ....

ثم بتر عبارته فجأة ، وقفز من مقعده صائحًا :

ــ يا للشيطان !!

وقفز متعلقًا بذراع وزير الدفاع ، الذى أصابته الدهشة ، حين سمعه يصيح قائلًا :

ــ لقد خدعنا مرة ثانية يا سيِّدى .. لقد خدعنا هذا الشيطان مرتين .

* * *

٩ ــ شيطان من الشَّرق ..

توقَّف (قدرى) عن القراءة ، ورفع رأسه ناحية باب غرفته ، حينما تناهى إلى مسامعه صوت طرقات هادئة ، فقال فى صوت خرج على الرغم منه ، أجشّ متلعثمًا :

ــ ادخل يا من بالباب .

وفى هدوء .. فتح المقدم (حازم) باب المكتب ، ودلف إلى الداخل وهو يقول فى مرح :

ــ كيف حالك أيها البدين ؟ ماذا تفعل وحدك هنا ؟

رفع (قدرى)يده بملف العملية (خيط اللهب) ، وهو يقول :

ــ إننى أطالع ملف العملية الثانية لـ (رجل المستحيل) .

ابتسم (حازم) ، وقال وهو يجذب مقعدًا ، ويجلس إلى جوار (قدرى) :

ــ آه !! عملية أنابيب النابالم .. لقد كان (أدهم) رائعًا حينذاك .. إلى أين وصلت فى قراءتك ؟

أخبره (قدرى) عن النقطة التى توقَّف عندها ، فضحك (حازم) قائلًا :

ــ لقد كانت خدعة متقنة للغاية تلك التى قام بها (أدهم) يومئذ ، وبرغم أنها لم تكن ضمن الخطة الموضوعة مسبقًا ، إلا أنها كانت ناجحة للغاية ، ولقد أبرزت موهبة (أدهم) وتفوُّقه إلى درجة كبيرة .

هزَّ (قدرى) رأسه المكتظ موافقًا ، ثم عاد يسأل :

ــ ولكن هناك نقطة تحيِّرنى للغاية ياصديقى ؛ إذ أن هذا التقرير يحوى أحاديث دارت بين وزير الدفاع الإسرائيلى ، ورجل المخابرات الإسرائيلية (شيمون) فى غير وجود (أدهم) .. فكيف تمَّت معرفتها ؟ أم أن الأمر مجرَّد استنتاج محض ؟

ابتسم (حازم) ابتسامة غامضة ، ومال بمقعده إلى الوراء فى صمت ، ثم عاد يعتدل قائلًا :

ــ هل تعلم مدى التقدُّم الذى وصلت إليه أجهزة التصنُّت فى القرن العشرين يا (قدرى) ؟

نظر إليه (قدرى) فى دهشة ، وهو يحاول استنتاج الجواب من طيَّات السؤال نفسه ، ولكن (حازم) تابع حديثه فورًا قائلًا :

ــ مع بداية السبعينات ، كان من الممكن دسّ جهاز تصنُّت صغير فى حجم رأس الدبوس ، داخل أى قطعة أثاث على شكل مسمار عادىّ ، مما يجعل كشفه مستحيلًا ، أو على الأقل بالغ الصعوبة .

سأله (قدرى) فى انبهار :

ــ وهل تمكَّنت مخابراتنا من دسّ جهاز تصنُّت ، فى مكتب وزير الدفاع الإسرائيلى نفسه ؟.. وكيف تمَّ ذلك ؟

سرح (حازم) ببصره لحظات ، وكأنما يسترجع ذكريات قديمة ، ثم قال :

ــ كان من عيوب وزير الدفاع الإسرائيلى السابق ، ولعه الشديد بالتحف والآثار ، حتى ولو خالف ذلك إجراءات الأمن والسرِّية ، وكان يعشق المكاتب من طراز (لويس السادس عشر) بالذات .. وحينما تولَّى مسئولية

وزارة الدفاع ، وجد من يهمس فى أُذنه ، بوجود تاجر تحف شهير يبيع مكتبًا من ذلك الطراز ، بسعر معقول للغاية ، وبالطبع لم يضع وزير الدفاع الفرصة ، وحصل على المكتب ، وزيَّن به غرفته دون أن تنتبه أجهزة الأمن الإسرائيلية إلى جهازنا الصغير ، الذى يختفى وسط نقوش المكتب الأنيقة .

انفجر (قدرى) ضاحكًا ، وكأنه استمع إلى دعابة طريفة ، ثم لم يلبث أن توقَّف عن الضحك فجأة ، وقال فى تجهُّم مفتعل :

ــ ألَمْ تلحظ أنك تمنعنى من مواصلة القراءة ؟

ضحك (حازم) وهو ينهض قائلًا :

ــ عفوًا يا صديقى .. سأتركك للملفات (رجل المستحيل) القديمة .

ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى عاد (قدرى) يفتح ملف العملية (خيط اللهب) ، وعاود القراءة بنفس الحماس .

* * *

قفز وزير الدفاع الإسرائيلى من مقعده فى ذهول ، وصرخ :

ــ ماذا تعنى بأنه خدعنا للمرة الثانية يا (شيمون) ؟

صاح (شيمون) ، وهو يختطف سمَّاعة الهاتف المتصل بأمن المبنى :

ــ هذا الرجل الذى غادرنا ليس (ليڤى باروخ) .. إنه ذلك الجاسوس الشيطانى .. هل تذكر حينما حادثته فى حدَّة ؟ إنه لم يحُكّ ما خلف أذنه ، كعادة (ليڤى) كلما ارتبك .. لقد تصرَّفت أنا كغِرّ ساذج ، فظننت الرجل الذى عثرت عليه فى البهو هو (ليڤى) الحقيقى ، حتى أننى لم أحاول تفتيش باقى المنزل .. لا ريب أن هذا الجاسوس قد حصل على صورة لأحد وثائقنا السرِّيَّة فى أثناء تصويره لها .. لقد خدعنا يا سيِّدى الوزير .

شحب وجه وزير الدفاع الإسرائيلى ، وانهار فوق مقعده مذهولًا ، على حين صاح (شيمون) من خلال الهاتف ، محدِّثًا مسئول الأمن :

ـ لا تسمح للسيد (ليڤى باروخ) بمغادرة المبنى .. ألق القبض عليه فى الحال .

ثم شحب وجهه بدوره ، وهو يصرخ :

ـ ماذا ؟ غادر المبنى بالفعل ، يا لكم من أغبياء !!

وألقى سماعة الهاتف فى حدَّة ، وهو يصيح :

ـ لقد هرب الجاسوس .. غادر المبنى فى سيارته ، ومعه صورة لأحد وثائقنا السرِّية ، والأدهى أننا لا نعرف أيها بالضبط .

اختطف وزير الدفاع الإسرائيلى سمَّاعة الهاتف صائحًا :

ـ سأطلب مراقبة مداخل (تل أبيب) ، وإلقاء القبض على كل من يشتبه فى أمره .. لن نسمح له بخداعنا هكذا .

ارتدى (شيمون) معطفه على عجل ، ثم توقَّف فجأة ، وظهرت على وجهه دلائل التفكير العميق ، وهو يستمع إلى وزير الدفاع يلقى أوامره إلى قوات الحراسة .. ولم يكد هذا الأخير ينتهى ، حتى غمغم (شيمون) فى تفكير :

ـ تُرَى .. ماذا أفعل لو كنت أنا الجاسوس الهارب ؟

سأله وزير الدفاع فى حِدَّة :

ـ ماذا تعنى يا (شيمون) ؟

عاد (شيمون) يغمغم ، وكأنه يحادث نفسه :

ـ لقد أنهيت مهمَّتى بنجاح ، وعثرت على بُغْيتى ، ولا أتوقَّع كشف أمرى بهذه السرعة .. من الأفضل إذن أن أبادر بمغادرة (إسرائيل) فورًا .. فى هذه الحالة يكون اتجاهى الطبيعى هو مطار (تل أبيب) ، و ....

وبتر عبارته فجأة ، وهو يهرع نحو باب المكتب صائحًا :

ـ سنُوقع به يا سيِّدى الوزير .. مُرْ بمراقبة كل المسافرين على الطائرات التى تقلع من هذه اللحظة ، وتفتيشهم بدقة ، حتى لو اقتضى الأمر تفتيش كل منهم ذاتيًا ، وتعطيل كل الطائرات .. أراهنك أننى سأوقع به يا سيِّدى .

* * *

انطلقت من فم (أدهم صبرى) ضحكة ساخرة عالية ، وهو يقود سيارته بسرعة عادية ، غير ملفتة للأنظار ، فى الطريق الذى يقوده إلى مطار (تل أبيب) ، وتحسَّس صورة خريطة أنابيبَ النار فى جيبه بفخر ، وهو يقول ساخرًا :

ــ تبًّا للذكاء الإسرائيلى الذى يتشدَّقون به فى كل مكان .. لقد انطلت عليهما لُعبتى ، كما لو كانا فى المرحلة الابتدائية من عالم المخابرات .

وفى هدوء .. أخذ يزيل تنكُّره فى هيئة (ليڤى) ، وابتسامته الساخرة لا تفارق وجهه ، حتى اقترب من مطار (تل أبيب) ، فأوْقف سيارته على مبعدة من المكان ، وأخرج جواز سفر تحمل صورته وجهه العادىّ ، إلى جوار اسم إيطاليّ غريب .. ومن العجيب أن الجواز كان يحمل تأشيرة دخول إسرائيلية منذ شهر كامل ، وعاد (أدهم) يطالع بيانات الجواز ، ثم قال فى سخرية :

ــ ها قد تحوَّل (ليڤى باروخ) إلى (بنيتو سلفانيونى)

فى لمح البصر .. رائعة هى المخابرات المصرية ، إنهم يحسبون حسابًا لكل الاحتمالات .

ثم غادر السيارة فى هدوء ، حاملًا حقيبة سفر أنيقة ، تحمل نفس الاسم الإيطالى العجيب ، وسار فى تؤدَة نحو المطار ، ولكنه لم يلبث أن توقَّف فجأة ، حينما لمح الحراسة المشدَّدة على أبوابه ، وضاقت عيناه وهو يتفرَّس فى أسلوب الحراس الفظ ، فى مراجعة أوراق المسافرين ، فغمغم فى سخرية :

ــ يبدو أن أمرك قد انكشف بأسرع مما كنت تتوقَّع يا (أدهم) .. هذا هو التفسير الوحيد لتلك العصبية ، التى تبدو واضحة فى تعاملات هؤلاء الإسرائيليين .

واتسعت ابتسامته الساخرة وهو يستدير عائدًا ، فى تهكُّم عجيب :

ــ حسنًا أيها الأوغاد ، لِنرَ من أكثر ذكاءً .

ثم أردف وهو يعاود فتح السيارة ، ويلقى بالحقيبة فوق مقعدها الخلفىّ :

ــ حتى ذلك اتخذت له الحيْطة .

* * *

١٠ ــ ملك الدَّهــاء ..

توقَّفت سيارة تحمل أرقام وزارة الدفاع الإسرائيلية فى حِدَّة ، أمام البوابة الرئيسية لمطار (تل أبيب) ، وقفز منها رجل موفور النشاط ، تقدَّم فى سرعة من جنود الحراسة ، وصاح فى لهجة تشفّ عن العجلة :

ــ الجنرال (شيمون إليعازر) من (الموساد) .. هل ألقيتم القبض على الجاسوس الهارب ؟

ارتفعت يد جنود الحراسة بالتحية فى احترام ، على حين قال أكبرهم رتبة :

ــ ليس بعدُ يا سيِّدى ، ولكننا فحصنا أوراق الجميع ، و ....

قاطعه (شيمون) فى لهجة حازمة :

ــ هل وضعت أحد رجالك أمام مكتب الحجز للطائرات المُقْلِعَة توًّا ؟

ارتبك الجندى وهو يقول :

ــ فى الواقع يا سيِّدى .. لقد ظننت ....

صاح (شيمون) فى وجهه مقاطعًا :

ــ ظننت ؟!.. لا مجال للظنون فى الجيش الإسرائيلى أيها الرجل .. اتبعنى إلى الداخل .

هرْوَل الجندى خلفه وهو يلعن حظّه العاثر ، الذى جعله يقف ذلك الموقف أمام أشرس ضباط المخابرات الإسرائيلية ، على حين توجَّه (شيمون) من فوره إلى مكتب الحجز ، وهو يقول فى عصبية :

ــ احذر هذا الجاسوس ، فهو يجيد التنكُّر بدرجة مذهلة .. إننى لا أستبعد أن يتقمَّص شخصيَّتى أنا .. إنه يجيد العِبْريَّة إلى درجة مذهلة .

غمغم الجندى ، محاولًا استرداد مكانته أمام ضابط المخابرات الإسرائيلى :

ــ سيكون من سوء حظّه أن يفعل يا سيِّدى .

توقَّف (شيمون) أمام مكتب الحجز ، وسأل الموظفة فى صرامة :

ـــ كم مقعدًا تم حجزها خلال الساعة الماضية على الطائرات المُقْلِعَة بعد قليل ؟

راجعت الموظفة أوراقها فى ارتباك ، ثم أجابت :

ـــ ستة مقاعد فقط يا سيِّدى .

صاح (شيمون) فى وجهها ، بلهجة تنمّ عن فراغ صبره :

ـــ أعطنى أسماءهم .. هيَّا فلا وقت لدينا .

أسرعت الموظفة تخط أسماء المسافرين الستة على ورقة بيضاء ، اختطفها (شيمون) من يدها فى صرامة ، وقذف بها إلى الجندى قائلًا :

ـــ أحضر هؤلاء الرجال إلى مكتب الأمن فـوْرًا .. سأنتظرك هناك .

قال الجندى وهو يرتجف :

ـــ هناك سيِّدتان ضمنها يا سيِّدى .. هل أحضرهما أيضًا ؟

صاح (شيمون) فى غضب ، وهو يسرع الخطا نحو مكتب الأمن فى المطار :

ـــ الرجال الأربعة الباقون فقط أيها الغبىّ .

أسرع الجندى يطيع الأمر ، حين دخل (شيمون) مكتب الأمن فى حِدَّة ، وهو يقول للضابط الإسرائيلى المنُوط به المكتب فى صرامة :

ـــ الجنرال (شيمون إليعازر) من المخابرات .. صلنى هاتفيًّا بوزير الدفاع شخصيًّا ، إنه ينتظر محادثتى فى مكتبه .

نهض الضابط من مقعده ليحتله (شيمون) فورًا ، على حين أسرع الضابط يطلب رقم وزير الدفاع الإسرائيلى ، ولم يكد يسمع صوته حتى قال :

ـــ هنا مكتب أمن مطار (تل أبيب) يا سيِّدى .. الجنرال (شيمون إليعازر) يطلب ..

لم ينتظر (شيمون) حتى ينتهى الضابط من حديثه ، بل اختطف سماعة الهاتف من يده ، وقال متحدِّثًا إلى الوزير :

ـــ لقد أحكمنا الحصار حوله يا سيِّدى .. إنه لن يفلت من أيدينا ، وسيكون من سوء حظِّه أن يحاول السفر من هنا .

صاح وزير الدفاع الإسرائيلى فى ارتياح :

ــ حسنًا فعلت يا (شيمون) .. أخبرنى فور إلقائك القبض عليه .

ابتسم (شيمون) ، وهو يقول :

ــ بالطبع يا سيِّدى .

ثم أنهى الاتصال فى نفس اللحظة التى وصل فيها جندى الحراسة قائلًا :

ــ لقد أحضرت الرجال الأربعة يا سيِّدى .

قال (شيمون) فى لهفة :

ــ أدخلهم إلى هنا .

دخل الرجال الأربعة إلى مكتب الأمن ، والخوف واضح فى قسماتهم ، على حين مال (شيمون) بمقعده إلى الوراء ، وضمَّ كفَّيه أمام وجهه وهو يتأمَّلهم فى اهتمام ، ثم اعتدل فجأة ، وأشار إلى أحدهم قائلًا :

ــ يمكن لهذا الرجل الانصراف ، فهو بدين قصير ، والرجل الذى نبحث عنه يميل إلى الطول .

ثم أشار إلى رجل آخر متابعًا :

ــ وهذا أيضًا ، نحيل للغاية ، والجاسوس رياضىّ القوام .

انصرف الرجلان فورًا ، على حين بقى (شيمون) يتأمَّل الرجلين الآخرين فى صمت ، ثم قال موجِّهًا حديثه إلى أولهما :

ــ من أين أنت يا رجل ؟ وأين جواز سفرك ؟

لم يكد الرجل يخرج جواز سفره بأصابع مرتجفة ، حتى اندفع جندىّ الحراسة داخل مكتب الأمن ، صائحًا فى انفعال :

ــ سيِّدى الجنرال .. لقد أوْقَعنا بالجاسوس .

نهض (شيمون) فى حدَّة ، وسأل الجندىّ فى عصبية :

ــ أوْقعتم به ؟! كيف ؟

ظهر الفخر على ملامح الجندى ، وهو يقول :

ــ لقد فعل كما توقَّعت تمامًا يا سيِّدى ، لقد وصل فى سيارة سوداء فارهة ، منتحلًا شخصيتك ، فأمسكنا به فورًا .

ساد الصمت لحظة ، ثم صاح (شيمون) فى انفعال :

ــ أحضروه إلى هنا .. أريد أن أراه فورًا .

ولم يكد يستقر ثانية على مقعده ، حتى اتسعت عيون الجميع دهشة ، إذ دفع الجنود فى خشونة إلى داخل الحجرة رجلًا ، هو التوءم المطابق لرجل المخابرات الإسرائيلى ، فى الملامح ، والقسمات .. ونهض (شيمون) نفسه والذهول يرتسم على ملامحه ، حينما صاح ذلك الرجل فى غضب ، وبنفس الصوت تمامًا :

ــ ماذا تفعلون أيها الحمقى ؟ أنا الجنرال (شيمون إليعازر) .

ومع نهاية عبارته وقع بصره على (شيمون) ، واتسعت عيناه دهشة ، وساد مكتب الأمن الإسرائيلى سكون شامل ، واستولى الذهول على الجميع .

★ ★ ★

دفع الجنود فى خشونة إلى داخل الحجرة رجلًا ، هو التوءم المطابق لرجل المخابرات الإسرائيلى ...

١١ ــ صورة فى المرآة ..

ساد الصمت طويلًا داخل مكتب الأمن ، وكل من التوءمين يحدّق فى وجه الآخر فى دهشة ، على حين ارتسم الذهول على وجوه الآخرين ، وهم يقلّبون أبصارهم بين الرجلين ، اللذين بديا كصورة فى مرآة مزدوجة ، إلى أن صاح (شيمون) فى انفعال :

ــ ربَّاه !! هذا مدهش ، مستحيل .

صاح الرجل الآخر فى غضب :

ــ تبًا لك أيها الزائف .. إنك تجيد التمثيل ، ولكننى (شيمون) الحقيقى .

ضحك (شيمون) ضحكة ساخرة ، وقال :

ــ هكذا ؟! . هل تظن أنك قادر على خداع الجميع ؟

صاح الرجل ، وقد بلغت عصبيَّته مبلغها :

ــ لا تدَعُــوه يخدعكــم أيها الأغبيــاء .. أنــا (شيمون) .. الجنرال (شيمون إليعازر) .

قال ضابط الأمن فى شراسة :

ــ لن يمكنك خداعنا .. إن السيِّد (شيمون) الأصلى يجلس فى مكتبى منذ ربع ساعة ، ولقد تحدَّث بنفسه إلى السيِّد وزير الدفاع .. هل تظننا أغبياء لنصدِّق روايتك ؟

صرخ الرجل فى غضب :

ــ أنتم أغبياء بالفعل .. لقد خدعكم جميعًا .

قال (شيمون) فى هدوء :

ــ هناك وسيلة بسيطة للتحقُّق من ذلك .. لاريب أن الجنرال (شيمون) الأصلى يحمل بطاقته العسكرية .. أليس كذلك ؟

صاح ضابط الأمن فى حماس :

ــ بالطبع يا سيِّدى .

صرخ الرجل :

ـ هذا صحيح .. إننى أوافق على ذلك ، وهاكم بطاقتى العسكرية .

ثم دسَّ يده فى جيب معطفه ، ولم يلبث وجهه أن شحب فجأة ، وهو يقول فى ذهول :

ـ يا للشيطان !! .. لقد فقدتها .

أطلق (شيمون) ضحكة خبيثة ، وقال وهو يخرج حافظة أوراقه ، وينتزع منها بطاقته العسكرية ، ويناولها لضابط الأمن ، الذى ابتسم فى ثقة :

ـ من العجيب أنها وقعت فى جيبى أنا أيها الجاسوس .. أليست مصادفة طريفة ؟

حدَّق الرجل فى وجه (شيمون) فى ذهول ، ثم دفع جندى الحراسة بعيدًا بصورة مباغتة ، وهو يصرخ :

ـ يا للشيطان !!

تحرَّك ضابط الأمن نحو الرجل فى سرعة ، ولكن مبادرة (شيمون) أدهشته ، حينما قفز فجأة عَبْرَ المكتب ، ووجَّه لكمة ساحقة إلى وجه الرجل ، أعقبها بأخرى فى معدته ،

وثالثة فى أنفه سقط بعدها فاقد الوعى ، فصاح ضابط الأمن فى إعجاب :

ـ يا إلٰه الإسرائيليين !! لقد هزمته بمهارة رائعة يا سيِّدى الجنرال .. لَمْ أكن أتصوَّر كفاءة ضباط المخابرات إلى هذا الحدَ .

ابتسم (شيمون) فى سخرية ، وقال :

ـ إنها أكثر مما تتصوَّر أيها الضابط .

ثم أردف فى عصبية :

ـ والآن .. غادروا المكان جميعًا ، وأحضروا لى زجاجة من النشادر .. فلدىَّ حديث سرِّى مع هذا الجاسوس بعد أن يستردّ وعيه .

أسرع الجميع ينفِّذون الأمر ، على حين قال ضابط الأمن فى احترام :

ـ هل أزيل تنكُّره يا سيِّدى ؟

ابتسم (شيمون) وهو يهزُّ رأسه نفيًا ، ويقول :

ـــ كلَّا .. إننى أريده كذلك حتى يراه الجميع ، فهم لن يصدِّقونى ، إذا لم يروا تنكُّره المذهل بأعينهم .

ولم يكد مكتب الأمن يخلو إلَّا من (شيمون) والرجل الآخر ، حتى ارتسمت ابتسامة غاية فى السخرية على وجه (شيمون) ، وهو يغمغم فى لهجة مصرية خالصة :

ـــ يا لكم من بلهاء أيها الإسرائيليون !!

* * *

استنشق (شيمون) الأصلى رائحة النشادر القوية ، فاهتزَّ رأسه ، واستيقظ فورًا ، ثم جلس يحدِّق فى ذهول فى وجه شبيهه ، الذى جلس قبالته ساخرًا ، ومضت فترة من الصمت قبل أن يغمغم (شيمون) فى انكسار :

ـــ كيف فعلت ذلك ؟

قال (أدهم) ، الذى انتحل شخصية (شيمون) فى مهارة مذهلة :

ـــ الأمر بسيط للغاية أيها الوغد .. فلقد لاحظت تلك الحراسة المكثَّفة غير المألوفة على أبواب المطار ، ومخارجه ،

ومداخله ، واستنتجت فورًا أن أمرى قد كشف بعد مغادرتى مكتب وزيركم .. ولقد درست شخصيتك جيِّدًا ، حتى أننى كنت أعلم بشكل يكاد يكون يقينيًّا ، أنك ستهرع إلى هنا فورًا ؛ لتشرف على الأمر بنفسك .. فأنت لن تضيع لحظة إلقاء القبض على رجل خدعك مرتين .. ومن حسن الحظ أننى كنت أحمل بعض أدوات التنكُّر ، وصورة واضحة لك ، ووجدت أن أفضل الحلول هو انتحال شخصيتك ، برغم ما يسبِّبه ذلك لى من اشمئزاز .

غمغم (شيمون) فى مرارة :

ـــ هكذا بكل بساطة ؟!

تابع (أدهم) متجاهلًا هذا التعليق :

ـــ وتستطيع أن تقول إننى كنت أتوقَّع ذلك تقريبًا ؛ لهذا فقد عمدت إلى نشل حافظتك ، وبطاقتك العسكرية ، حينما كنت تعاوننى على النهوض فى أثناء انتحالى شخصية (ليڤى) فى المرة الثانية .. لا شك أنك تذكر تعثُّرى وتعلُّقى بمعطفك ، والذى تصوَّرته أنت من تأثير المخدِّر حينذاك .

أومأ (شيمون) برأسه إيجابًا ، والهزيمة ترتسم ملامحها الواضحة على وجهه .. فعاد (أدهم) يتابع فى هدوء :

ــ وزيادة فى الإتقان ، انتحلت أسلوبك ، وثرت فى وجه الجميع ، واتصلت من مكتب الأمن بوزير الدفاع شخصيًا ، حتى أبعد كل شبه عن شخصيتى لحين وصولك .

غمغم (شيمون) فى صوت أقرب إلى البكاء :

ــ يا للجرأة !! أو كنت تتوقَّع وصولى أيضًا ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ــ بالطبع يا عزيزى .. لقد تعمَّدت تحذير جنود الحراسة من انتحال الجاسوس لشخصية (شيمون) ، وبدأت استجواب المسافرين المشتبه فيهم بالفعل ، فلم تكن خُطَّتى لتنجح لو لم تأت أنت بنفسك إلى هنا .

غمغم (شيمون) فى سخط :

ــ هؤلاء الأغبياء .

ضحك (أدهم) قائلًا :

ــ لقد نفَّذوا الأوامر فى إتقان عجيب ، وسيكون من المؤسف ألَّا تصرف لهم مكافأة مجزية نظير ذلك .

قال (شيمون) فى سخرية مريرة :

ــ مكافأة ؟!

ثم سأل (أدهم) فى حنق :

ــ وماذا كنت ستفعل لو أننى وصلت قبلك ؟ أعْنى لو أنك وصلت إلى المطار فوجدتنى هناك ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه فى استهتار ، وقال :

ــ كل عمل فى هذه الدنيا ينطوى على بعض المخاطرة يا عزيزى .. أليس كذلك ؟

امتقع وجه (شيمون) غضبًا ومرارة ، وساد الصمت طويلًا ، ثم رفع عينين دامعتين إلى (أدهم) ، وسأله فى صوت متحشرج :

ــ هل تنتمى إلى المخابرات المصرية ؟

صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال فى هدوء :

ـ أنا مصرىٌّ على أية حال أيها الإسرائيلى ، وكل مصرىّ مستعد للتضحية بحياته من أجل (مصر) .

مطَّ (شيمون) شفتيه ، وقال فى لهجة تقطر حقدًا ومرارة :

ـ سأجعلك تدفع الثمن ، إذا ما التقينا مرة ثانية .

ضحك (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ هذا ما رددته على مسامعى منذ ما يزيد قليلًا على العام أيها الوغد ، ولكنك لم تفعل شيئًا .

اتسعت عينا (شيمون) ذهولًا ، وغمغم :

ـ منذ ما يزيد على عام ؟! من أنت ؟

تبدَّلت لهجة (أدهم) ، وانطلق من حنجرته المرنة صوت مألوف فى أذنى (شيمون) يقول :

ـ فى خدمتك أيها الوغد .

تدلَّت فكّ (شيمون) فى ذهول ، وقفزت دموع القهر من عينيه ، وهو يصيح :

ـ أنت !! أنت ذلك المصرى الذى أنقذ ضابط المخابرات فى العام الماضى ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ نسيت أن أقدِّم لك شكرى على طائرتك الهليوكوبتر ، التى ساعدتنا على عبور البحر الميِّت يا سيد (شيمون)(*) .

انفجر الغضب فى وجه (شيمون) وصوته ، وهو ينهض متحفِّزًا صارخًا :

ـ أنت ؟! أنت الذى تسبَّبت فى حرمانى الترقية إلى منصب مدير (الموساد) ؟ أنت الوصمة السوداء فى تاريخى ؟

أنت الذى تسبَّبت فى حرمانى الترقية إلى منصب مدير (الموساد) ..

(*) راجع قصة (الخطوة الأولى) .. المغامرة رقم (٣١) .

ثم قفز فى شراسة ، ومرونة ، متعلقًا برقبة (أدهم) ، وصائحًا فى جنون :

ــ لن تغادر هذا المكان حيًّا .. لن أسمح لك إلَّا فوق جثتى .

* * *

١٢ ــ القتال الأخير ..

كانت مبادرة (شيمون) مباغتة لـ (أدهم) ، الذى لم ينتظر استرداد الرجل لقوته فى هذا الوقت القصير ، إلا أنَّ عامل المفاجأة لا يمكنه أن يؤثِّر تأثيرًا فعَّالًا فى رجل له سرعة الاستجابة المذهلة ، التى يتميَّز بها (أدهم صبرى) ؛ لذا فقد تحرَّكت قبضتاه فى سرعة خيالية ، لترتطما بجانبى (شيمون) فى قوة أجبرته على إرخاء قبضتيه من حول عنق (أدهم) ، والتأوُّه فى قوة وألم .. ولكن (أدهم) لم يمهله حتى تنتهى تأوُّهاته ، بل بادره بلكمة أخرى حطَّمت أنفه ، ثم جذبه من معطفه بذراع فولاذية ، وكال له لكمة على مؤخرة عنقه ، كان لها القول الأخير فى المعركة ..

اندفع رجال الأمن الإسرائيليون داخل مكتبهم ، بعد أن تناهى إليهم صوت الشجار ، وصراخ (شيمون) قبل أن يفقد وعيه ، وصاح أحدهم وهو يخرج مسدسه ، موجِّهًا حديثه إلى (أدهم) :

ـــ ماذا حدث يا سيِّدى (شيمون) ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال وهو يشير إلى (شيمون) ، الذى استلقى أرضًا فاقد الوعى .

ـــ يبدو أن هذا الوغد يرفض الحديث الودىَ ، ويصرُّ على القتال .

ابتسم ضابط الأمن فى إعجاب ، وهو يعيد مسدسه إلى جرابه قائلًا :

ـــ من الواضح أنك لقَّنته درسًا لن ينساه يا سيِّدى .

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

ـــ نعم .. أعتقد ذلك .

ثم التفت إلى الضابط مستطردًا :

ـــ صِلْنى بالسيِّد وزير الدفاع .. لابدَّ من إعلامه بما انتهى إليه الأمر .

أسرع ضابط الأمن يجرى الاتصال ، ثم ناول سمَّاعة الهاتف إلى (أدهم) ، الذى قال فى هدوء ، مقلِّدا صوت ، ولهجة (شيمون) فى إتقان مذهل :

ـــ لقد انتهى الأمر يا سيِّدى الوزير .. ألقينا القبض على الجاسوس .. هل تتخيَّل أنه انتحل شخصيتى فى مهارة مذهلة ؟

ولم يستطع منع نفسه من الابتسام ، وهو يتطلَّع إلى وجوه رجال الأمن مردفًا :

ـــ ولكن رجال أمن المطار ، وجنود الحراسة كشفوا أمره فى ذكاء .. لابدَّ من مكافأتهم يا سيِّدى الوزير .

تهلَّلت أسارير الضباط والجنود الإسرائيليين ، على حين سأل وزير الدفاع فى لهفة وقلق :

ـــ هل حصلت على المستند الذى سرق نسخته يا (شيمون) ؟ هل علمت بِمَ يتعلَّق ؟

داعب (أدهم) الوثيقة التى تستقر فى أمان داخل جيب معطفه ، قائلًا :

ـــ نعم يا سيِّدى .. إنها قائمة بأسماء عملائنا فى أوربا .

صاح وزير الدفاع :

ـ يا للشيطان !! من حسن الحظ أنك تمكَّنت من إلقاء القبض عليه .. ويمكننى الآن أن أنام مطمئنًّا .

ظهرت الابتسامة الساخرة على وجه (أدهم)، وهو يقول :

ـ نَمْ مطمئنًّا يا سيِّدى .. ستسير الأمور على ما يرام حتى الصباح ، وعندئذ يكون كل شىء قد انتهى .

لم يكد (أدهم) يضع سمَّاعة الهاتف وينهى الاتصال ، حتى بادره ضابط الأمن قائلًا :

ـ ماذا نفعل بهذا الجاسوس يا سيِّدى الجنرال ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يتأمَّل (شيمون) فى سخرية :

ـ أرسلوه إلى السجن الحربِّى فورًا ، وحذار أن ينزع أحدكم تنكُّره قبل أن أذهب إليه فى الصباح .

ثم صاح فجأة متظاهرًا بالغضب :

ـ والآن .. فليعُد جنود الحراسة إلى ثكناتهم ، لم يعد هناك داع لإثارة الخوف والقلق فى نفوس المسافرين .. أريد أن يعود كل شىء كما كان .

والتفت إلى ضابط الأمن ، قائلًا فى لهجة بدت غامضة فى أذنى هذا الأخير :

ـ سأرحل الآن أيها الضابط ، ولكننا سنلتقى قريبًا .. قريبًا جدًا .

* * *

حدث هذا اللقاء بأقرب مما يتصوَّر ضابط الأمن الإسرائيلى ، وعلى نحو لم يتوقعه ، أو ينتظره مطلقًا ؛ إذ أنه بعد ساعة واحدة من هذه الأحداث ، وبينما كان الضابط يقف أمام مكتب الأمن ، اقترب منه شاب وسيم يتحدَّث الإنجليزية بلكنة إيطالية واضحة ، وسأله فى صوت واضح الارتباك :

ـ هل يمكننى حجز مقعد على أيَّة طائرة مسافرة إلى (إيطاليا) الآن يا سيِّدى ؟ .. إننى أدعى (بنيتو سلفانيونى) ، ولقد تلقيَّت مكالمة عاجلة تفيد أن والدتى تحتضر فى بلدتى (نابولى) .. هل يمكننى السفر فورًا ؟

أشار الضابط إلى مكتب الحجز قائلًا :

ـ يمكنك أن تسأل فى مكتب حجز المقاعد الإضافية يا سنيور (سلفانيونى) .. هيَّا .. سأصحبك إلى هناك .

لم تكد تمضى نصف ساعة ، حتى كان (أدهم) يحمل تذكرة طائرة باسم (بنيتو سلفانيونى) ، ويجوز مقعدًا على الطائرة المتجهة إلى (إيطاليا) بعد ساعة واحدة ، ولم ينس إمعانًا فى السخرية ، أن يتوجَّه إلى مكتب الضابط الإسرائيلى ، ويصافحه قائلًا :

ــ شكرًا أيها الضابط .. لقد ساعدتنى كثيرًا .

ابتسم الضابط الإسرائيلى فى فخر ، وهو يقول :

ــ يسرُّنى أن أساعدك يا سنيور (بنيتو) .

وفى الساعة الثانية عشرة تمامًا ، كان (شيمون إليعازر) ضابط المخابرات الإسرائيلى يضرب حوائط السجن الحربى بقبضتيه ، صارخًا فى غضب جنونى :

ــ أخرجونى أيها الحمقى .. لقد خدعكم ذلك الشيطان المصرى .. أنا الجنرال (شيمون) الحقيقى .

وفى نفس اللحظة ، وعلى بعد آلاف الأميال ، كان (أدهم صبرى) يقف أمام مكتب الحجز فى مطار (روما) ، ليتسلَّم تذكرته على الطائرة المسافرة إلى (مصر) ،

وقد أثارت تلك الابتسامة الساخرة على شفتيه دهشة الجميع ، حتى أن ضابط الأمن الإيطالى راجع جواز سفره المصرى الذى يحمل اسم (أدهم صبرى) أكثر من مرة فى شك ، ثم لم يلبث أن سمح له بالمرور ، حينما تأكد من صحة الجواز ..

وفى تمام الثالثة صباحًا بتوقيت القاهرة ، هبطت الطائرة التى تقل (رجل المستحيل) فى مطار القاهرة ، وهبط منها (أدهم صبرى) وهو يبتسم ، ويده قابضة على خريطة أنابيب النار النابالم .. تلك الوثيقة التى كان لها جزء كبير من فضل النصر فى حرب أكتوبر العظيمة ، وكانت السعادة تملأ قلبه ؛ لأنه صنع جزءًا من النصر لمصر .

* * *

١٣ ــ الختام ..

أغلق (قدرى) ملف عملية (خيط اللهب) ، وجلس ساهمًا بضع لحظات ، ثم انفجر فجأة مقهقهًا بأعلى صوته ، واستغرق فى الضحك ، حتى أن جسده البدين اهتزَّ فى قوة مع ضحكاته ، وهو يضرب كفًّا بكفٍّ قائلًا :

ــ يا لك من داهية يا (أدهم) !! لقد خدعت الجميع .. لقد انتصرت جرأتك على عمالقة إسرائيل .. لقد حطمت غطرستهم تمامًا .

احتبست ضحكاته فجأة ، حينما وقع بصره على وجه مدير المخابرات ، الذى دخل إلى الحجرة فى غفلة منه ، وجلس يراقبه فى هدوء ، وتلعثم (قدرى) وهو يقول :

ــ معذرة يا سيِّدى .. لقد انتهيت توًّا من مطالعة ملف العملية ، و ...

قاطعه مدير المخابرات ، قائلًا فى هدوء :

-لا عليك يا (قدرى) .. لقد انتابنى الإعجاب والمرح أنا أيضًا حينما طالعته .

ثم جذب أحد المقاعد ، وجلس فى بساطة ، وقال وهو يشعل سيجارته :

ــ لقد أصابهم (أدهم) بالذهول والغيظ فى تلك العملية ، وأصاب رجال المخابرات وقتئذ بالدهشة والإعجاب ، حتى أن (حازم عبد الله) ــ وكان يعمل حديثًا أيامها فى المخابرات برتبة ملازم أول ــ هتف من شدة إعجابه قائلًا : يا للرَّوعة !! هذا الشاب يستحق لقب (رجل المستحيل) ، وقد كان .

ابتسم (قدرى) فى مرح ، وصاح :

ــ إذن فالمقدم (حازم) هو أول من أطلق على (أدهم صبرى) اسم (رجل المستحيل) والله إن هذا سيجبرنى على احترامه مستقبلًا .

ضحك مدير المخابرات ، وقال :

ــ من العجيب أن (أدهم صبرى) ، حينما تلقى أمرًا

بضمه إلى جهاز المخابرات المصرية ، طلب الإبقاء عليه فى قوات الصاعقة حتى تنتهى الحرب ، التى كان من القلائل الذين يعلمون موعدها فى ذلك الحين ، ولقد استجابت الإدارة لطلبه ، وتم ضمه بالفعل بعد أن أبلى بلاءً حسنًا طوال حرب أكتوبر ، حتى أنه نال وسامًا حينذاك ، ولكنه قلّما يتحدث عن ذلك .

غمغم (قدرى) فى إعجاب :

ــ ياله من رجل !!

ابتسم مدير المخابرات فى هدوء ، وقال :

ــ إننى لم آت لأحادثك عن ذلك فى الواقع ، ولكن لدىَ خبر أردت أن أخبرك به بنفسى ، ربما لرؤية انفعالك حينما تستمع إليه .

امتقع وجه (قدرى) ، وهو يغمغم فى صوت خافت :

ــ لعله يتعلق بالعقيد (أدهم صبرى) يا سيِّدى .

اتسعت ابتسامة مدير المخابرات ، وهو يقول :

ــ أصبت يا (قدرى) .. لقد استردَّ (أدهم صبرى) وعيه .

ظلَّ (قدرى) يحدِّق فى وجه مدير المخابرات فى ذهول بعض الوقت ، ثم تفجَّرت دموع السعادة فجأة فى عينيه ، وهو يصرخ هادرًا :

ــ استردَّ وعيه ؟!

واختلطت ضحكاته بصيحاته فى مزيج عجيب ، يشفّ عن الفرح البالغ والسعادة الحقَّة ، وهو يهتف :

ــ حمدًا لله ... حمدًا لله .. هذا أسعد خبر سمعته فى حياتى بأكملها .

سقط (قدرى) فجأة على مقعده ، وانطلق يبكى فى حرارة ، ومدير المخابرات يراقبه فى صمت حتى جفَّت دموعه ، ورفع رأسه قائلًا :

ــ أريد أن أسافر إليه فى (المغرب) يا سيِّدى .. أرجوك .

ابتسم مدير المخابرات فى حنان ، وهو يناوله جواز سفر قائلًا :

ــ لقد حصلنا لك على تأشيرة الدخول ، وإذن بالزيارة .. رافقتك السلامة يا (قدرى) .

ظهر التأثُّر على وجه (قدرى) ، وهو يتناول جواز سفره مغمغمًا :

ـــ كيف يمكننى أن أشكرك يا سيِّدى ؟

نهض مدير المخابرات قائلًا :

ـــ بأن تعود إلينا سريعًا يا (قدرى) ، وبألا تعانق (أدهم صبرى) فى قوة ، فصحيح أنه استرد وعيه ، ولكنه لم يسترد عافيته تمامًا ، فجراح عموده الفقرى لم تلتئم تمامًا بعد .

غادر مدير المخابرات غرفة (قدرى) فى هدوء ، ورفع هذا الأخير رأسه إلى السماء ، وتمتم فى انفعال ، وسعادة :

ـــ شكرًا لك يا إلـٰهى ، لقد أبقيت لنا (رجل المستحيل) .

★ ★ ★

Www.dvd4arab.com

[تمت بحمد الله]